الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات تطبيقية

المـــــوضـــوع:

الموشّح عند محمد ابن زمرك "دراسة لسانية "

إعداد الطالبة:
إزناسني شهيناز

إشـراف الأستاذ:
أ .د . مولاي البودخيلي سيدي عبد الرحيم

لجنة المناقشة

أ. الدكتور	ديدوح عمر	رئيسا
أ. الدكتورة	بن يحيى فتيحة	ممتحنة
أ. الدكتور	مولاي البودخيلي سيدي عبد الرحيم	مشرفا ومقررا

العام الجامعي:1440/1439هـ /2019-2018م

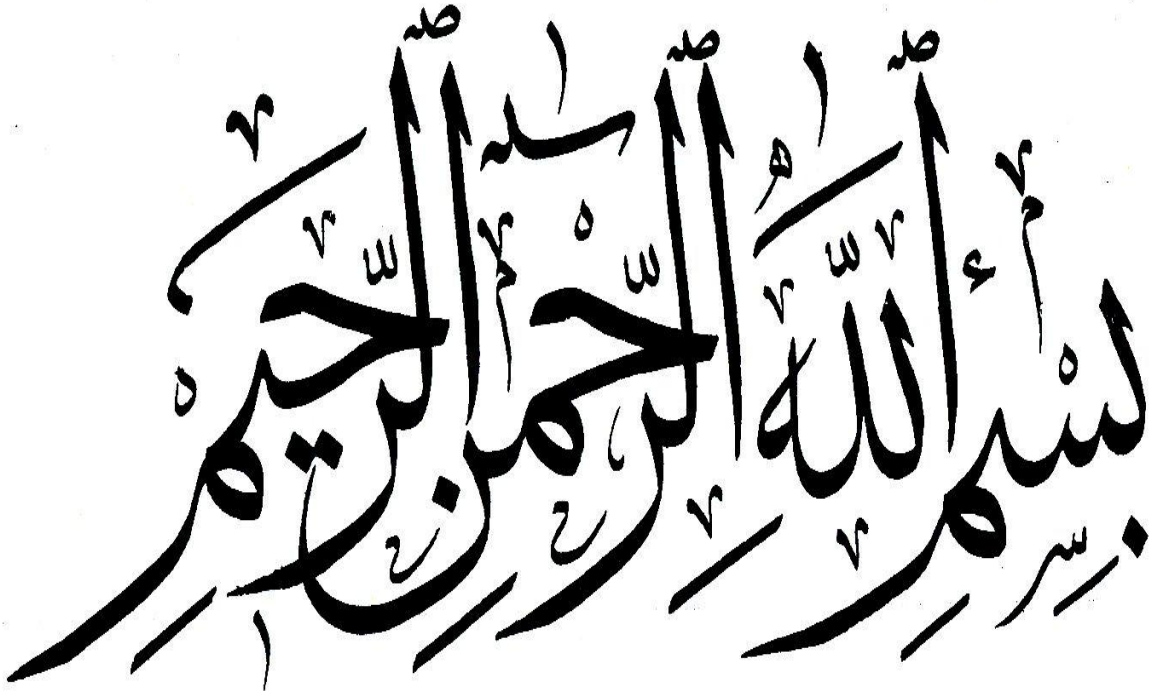
بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ

(2)اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4)

عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)

صدق الله العظيم

سورة العلق: الآية 1–5

شكر و تقدير

الحمد لله الذي أنار لي درب العلم و المعرفة و أعانني على أداء هذا الواجب ووفّقني إلى إنجاز هذا العمل.

أتوجّه بجزيل الشّكر و الإمتنـــان إلى كلّ من ســاعدني من قريب أو من بعيد على إنجــاز هذا العمل، و في تذييل ما واجهته من صعوبات، و أخص بالذّكر الأستاذ المشرف الدّكتور"**مولاي البودخيلي سيدي عبد الرّحيم**" الّذي لم يبخل عليّ بتوجيهاته ونصائحه القيّمة، الّتي كانت عونا لي في إتمام هذا البحث، و أسأل الله أن يجازيه بكلّ الخير.

ثمّ الشّكر و الثّناء أجلّه إلى أعضاء لجنة المناقشة على تفضّلهم بمناقشة هذا العمل.

إلى كلّ من زرع التّفاؤل في دربي و قدّم لي المساعدات و التّسهيلات و الأفكار والمعلومات، أخصّ بالذّكر الأستاذ الدّكتور "هشام خالدي"

و شكرا.

شهيناز

شهيناز

إهداء

الحمد لله ربّ العالمين و الصّلاة و السّلام على خاتم الأنبياء و المرسلين.

أهدي هذا العمل إلى :

إلى من ربّتني و أنارت دربي و أعانتني بالصّلوات و الدّعوات، إلى أغلى إنسان في هذا الوجود

أمي الحبيبة و الغاليّة.

إلى من عمل بكد في سبيلي و علّمني معنى الكفاح و ساندني حتى أواصل مسيرتي العلميّة،

وأضاء دربي بمشاعر الأمل أبي الكريم أدامه الله لي.

إلى رفيق دربي زوجي الكريم.

إلى أخي العزيز أسامة حفظه الله لي و أنعم عليه بالشّفاء.

إلى صديقاتي و أخواتي في الله، حسناء، لمياء، فتيحة، فاطمة، نجاة و فضيلة اللّواتي أرشدنني

بنصائحهنّ جزاهم الله ألف خير.

إلى جميع أساتذة قسم اللّغة العربيّة و آدابها.

إلى كلّ من ساعدني و قدّم لي يد العون من قريب

أو من بعيد.

شهيناز

مقدمة

مقدمة:

يُعدّ الموشّح فنّا من الفنون الشّعرية، الّذي اِنتشر بسبب الغناء، حيث نشأ في الأندلس وتطوّر في القرن الثّالث من حيث الشّكل و المضمون، فهو يختلف عن الشّعر الغنائي من حيث الأوزان و القوافي، و كان ابن زمرك آخر وشّاح أندلسيّ اهتمّ بهذا الفنّ اِهتماما كبيرا، فكان اِختياري لديوانه موضوعًا للبحث و الدّراسة الذي جاء تحت عنوان" الموشّح عند محمد ابن زمرك" دراسة لسانية.

ولعلّ السّبب الّذي دفعني إلى اِختيار هذا الموضوع هو ميلي للأدب الأندلسيّ، و هذا النّوع من الدّراسة لم يلق العناية الكافية من قبل الباحثين، فأردت أن أُدَعِّم المكتبة بدراسة جديدة حول الموشّح عند اِبن زمرك كون هذا الموضوع تقلّ فيه البحوث و الدّراسات فحاولت جاهدة إعطاء دراسة لسانية من صميم اِجتهادي الخاصّ إلاّ أنّهذا الموضوع كان مدروسًا من قبل، فمن الباحثين الّذين عنُوا بهذا الموضوع نجد منهم المشارقة و المغاربة و الأندلسيّين كالدّكتور أحمد سليم الحمصي في كتابه (اِبن زمرك سيرته و أدبه)، و المقري في كتابه (نفح الطّيب و أزهار الرّياض)، ولسان الدّين ابن الخطيب في كتابه (جيش التّوشيح)، والصّفي الحلي في كتابه (العاطل الحالي والمرخّص الغالي)، والأبشيهي في كتابه (المستطرف من كلّ فنّ مستظرف).

أمّا بالنّسبة للصُّعوبات الّتي واجهتني في مسار بحثي، فلا يخلو أيُّ بحث منها ولكن بعون الله تعالى، اِستطعتُ تجاوزها، وحاولت أن أخوُض في هذا الموضوع بدراسته على المستويات الصّوتية لكن هو أدقّ وأعمق، فدرسته دراسة لسانيّة كونه أسهل وأبسط من ذلك.

وليكون عمل هذا البحث ناجحًا و حتّى لا يكون الكلام مبعثرًا و عشوائيا كان لابّد لي من اِختيار منهج أتّبعه وأسير على خطاه من أجل الوصول إلى برّ الصّواب والتّوفيق في هذا البحث، فاعتمدت في هذه الدّراسة على منهج تكاملي يجمع بين الوصفي والتّاريخي واللّغوي مبني على الدّرس اللّساني في الغالب القديم.

وقد قسّمت هذا البحث إلى مدخل متضمّنا دراسة موجزة حول الموشّح موضوعا وفنّا مفصّلة الحديث عن البُنى الفنّية، ثمّ انتقلت إلى الحديث عن عناصر الموشّح و الأوزان الشّعرية، أمّا الفصل الأوّل فعنوانه "لسانيات الموشّح مضمونا عند ابن زمرك"، وضمّ مبحثين؛ المبحث الأوّل خصّصته لموضوعات الموشّح عند ابن زمرك، ودرستُ فيه أهمّ الأغراض الشّعرية الّتي خاضها في نظْم موشّحاته، أمّا المبحث الثّاني؛ فكان لدراسة ظاهرة التّفاوت في الأخذ بالأغراض وفيه تحدّثت عن بناء الموشّحة عند ابن زمرك، أمّا الفصل الثّاني فقد درست فيه لسانيات الموشّح شكلا عند ابن زمرك، وقسّمته إلى مبحثين؛ الأوّل كان بعنوان المعجم اللّساني للموشّح عند ابن زمرك، وتناولت فيه بعض التّراكيب اللّغوية التي جاء بها اَبن زمرك في موشّحاته، وختمتُ الفصل بمبحث ثاني أشرت فيه إلى الصّورة الفنّية للموشّح عند ابن زمرك، فتطرّقت من خلاله إلى دراسة الموسيقى الدّاخلية و الموسيقى الخارجيّة.

ثمّ ختمت البحث بخلاصة ذكرت فيها مُجمل النّتائج الّتي توصّلت إليها في أثناء البحث.

وأرجُو من الله العليّ القدير أنْ أكون قد وُفّقت في إنجاز هذا البحث المتواضع، *وأسأل الله التوّفيق و السّداد، إنّه نعْم المولى، ونعْم النّصير*،كما أتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير لأستاذي وموجهي الدكتور الفاضل "مولاي البودخيلي سيدي عبد الرحيم" الذي اهتم بي من بداية البحث الى نهايته فجزاه الله كل خير ثم الشكر موصول لعضوي المناقشة ، وكل من ساهم في هذا البحث من قريب أو من بعيد.

ونشير في تتمّة هذا الجُزء من الدّراسة إلى أنّنا سنتناول موضوع الموشّح موضوعا وفنّا في المدخل.

الطّالبة: إزناسني شهيناز.

حُرّر بتلمسان في 20 ماي 2019.

المدخل

الموشّح موضوعًا و فنًّا

1- البُنَى الفنّيّة .

2- عناصر الموشّح.

3- الأوزان الشّعرية.

1-البنى الفنية :

تميّز الأدب الأندلسي بظهور فنون شعريّة عديدة ومختلفة، كان من أبرز تلك الفُنون وأهّمها الموشّحات، فالموشّح لغة مأخوذ من الوشاح، وقد جاء في مُعجم "لسان العرب"لابن منظورأنّ:" الوشاح حُليُّ النّساء كرسانٍ من لُؤلُؤٍ وجوْهرٍ مُخالفٌ بينهما معْطُوف أحدُهُما على الآخر، تتوشّحُ به المرأة "[1]. وجاء في" القاموُس المحيط " للفيروز آبادي أنّ الِوشاح هو:" كرسانٍ من لؤُلؤٍ وجوْهرٍ منْظُومان يُخالفُ بينهما معطوُف أحدُهما على الآخر، وهُو أديمٌ عريض يُرصّعُ بالجوْهر تشُدُّه المرأةُ بين عاتقها و كَشَحَيْها[2].فالوشاح عند الباحثين اللّغويين نوعٌ من اللّباس ترْتديه المرأة للزّينة، وتوشّحت المرأة أيْ لبست، ومنه اشتُقّ توشّح الرّجل بثوبه.[3]

وأمّا البلاغيون القُدامى وعلى رأْسهم أبو هلال العسكري المتوفّي سنة (395هـ - 1004م)، فالتّوشيح عندهم بمعنى أنْ يكون أوّل الكلام دالاً على آخره وصدْره يشهد بعجُزه [4]، فهذه التّسمية قريبة إلى التّسمية الأندلسيّة، ففي الموشّحات المديحيّة يبدأ الوشّاحُ بالغزل ويُنهي الموشّحة بالغزل أيضا، فمن خلال آراء اللّغوين القدامى، رأينا أنّ الموشّح في اللّغة هو من الفعْل وَشَّحَ أيْ لبِس، وقدْ اشتُقَّتْ وأُخذتْ هذه التّسْميّة من الوشَاح الّذي تلْبِسُه المرأة للزّينة،نظرًا لما فيه من زخْرفةٍ وجمالٍ ولمعانٍ، وكذلك لأنّه يُشبه الوشَاح في أشكاله حيث أنّ خرجاته و أشكاله كالوِشَاح.

لقد عرَّف القدامى الموشَّح في تعريفات عديدة كادت تكون متقاربة المعنى، من بينهم اِبن خلدون المتوفّي سنة (808هـ - 1405م) قال:" وأمّا أهل الأندلس فلمّا كثُر الشّعر في قُطرهم وتهذّبت مناحِيه وفُنونه، وبلغ التّنميقُ فيه الغاية، استحْدثَ المتأخّرون منهم فنًّا منه سمُّوهُ بالموشَّح،

---

[1] - معجم لسان العرب ؛ لابن منظور. مج:15،ط/3، دار صادر، بيروت، 1999م، ص 216.

[2]- معجم القاموس المحيط؛ للفيروز آبادي. ج:2،ط/1، دار إحياء التّرات العربيّ، بيروت- لبنان،1417هـ -1997م، ص 470.

[3] - معجم لسان العرب ؛ لابن منظور، ص 216.

[4]- الموشّحات والأزجال الأندلسيّة و أثرُها في شعر التروبادور؛ محمّد عباسة.(د.ت)، ط/1، دار أمّ الكتاب للنّشروالتّوزيع، الجزائر، 1433هـ -2012م، ص 47.

يُنظّمونه أسماطًا أسماطًا و أغصانًا أغصانًا، يُكثرون منها ومن أعاريضها المختلفة، ويُسمُّون المتعدّد منهابيتًا واحدًا، ويلتزمون عدد قوافي تلك الأغصان وأوزانها مُتتاليًا فيما بعد إلى آخر القطعة، وأكثر ما ينتهي عندهم إلى سبعة أبيات، ويشْتمِل كُلّ بيتٍ على أغصان، عددها بحسب الأغراض والمذاهب، وينْسِبُون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد"[1]. أمّا اِبن بسّام المتوفّي سنة (543هـ – 1147م)، فلا يوجد عنْده فيما يتعلّق بالموشّح ما يُعرِّفُ لنا هذا الفنّ، حيث قال وهو يتحدّث عن صنعة التّوشيح: " وهي أوزان كثُرَ اِستعمال أهل الأندلس لها في الغزل والنّسيب، تشقُّ على سماعِها مصُوناتُ الجُيُوب، بل القُلوب"[2] ،وتطرّق اِبن سناء الملك المتوفّي سنة (608هـ – 1211م) لفنّ التّوشيح في كتابه "دار الطّراز في عمل الموشّحات" ، فحاول فيه اِستخلاص قواعد هذا الفنّ فقال:" الموشّح كلامٌ منظُوم على وزنٍ مخصُوص،وهو يتألّف في الأكثر من ستّة أقفال و خمسة أبيات ويُقال له التّام، وفي الأقّل من خمسة أقفالٍ وخمسة أبيات و يُقال له الأقرَع فالتّام ما اِبتُدئَ فيه بالأقفال، والأقرع ما اِبتُدئَ فيه بالأبيات "[3].

وحسب آراء هؤلاء الباحثين، نلاحظ من خلال كلام اِبن خلدون أنّ الموشّحات متنوّعة ومختلفة، تتكوّن من أجزاءٍ وتُبْنى على أعاريض مختلفة، فقوله: "يُنظّمونه أسماطًا أسماطًا، وأغصانًا أغصانًا"، فهذا غير دقيق حسب الصّورة الّتي اِنتهى إليها الموشّح عند الشّعراء المتأخّرين الّذين يتحدّثُ عنهم، ونلاحظ من خلال تعريف اِبن بسّام أنّ الموشّحات جاءت على أوزان معيّنة، واِتّجهت كثيرا نحو الغزل أمّا اِبن سناء الملك من خلال رأيه يتبيّن لنا أنّ الموشّح يُبنى على أوزان لا تنطبق على الشّعر التّقليدي.

ظهرت الموشّحات في الأندلس في أواخر القرن الثّالث الهجري، كانت نشأتها في الفترة التّي حكم فيها الأمير عبد الله، وساعد على نشأتها عاملان يتمثّل أحدهما في اِنتشار اللّهو والمجون والغناء

[1] – المقدمة ؛ عبد الرّحمان اِبن خلدون. (د.ت)، طبعة كاترمير، باريس، 1857م، ص391.

[2] – الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة؛ اِبن بسّام الشّنتريني. ت: إحسانعباس، دار الثقافة، بيروت، 1979م، ص 469.

[3] – دار الطّراز في عمل الموشّحات؛ اِبن سناء الملك. ت : د– جودت الرّكابي، ط/2، دمشق، 1977،ص32.

في تلك الفترة، والثّاني في اِختلاط العرب بالإسبان فنشأ مجتمع جديد فيه عروبة، وفيه إسبانيّة فأصبح هناك نوع من الإزدواج اللّغوي.

اِختلف بعض النّقاد حول رائد فنّ الموشّحات حيث يرى اِبن بسّام في "الذّخيرة" أنه محمّد بن محمود القبري الضّرير، ويرى اِبن خلدون أنه مُقدّم بنُ مُعافى القبري[1]، وهو من شعراء الأمير عبد الله بن محمّد المرواني، ويرى بعض المؤرّخين أنّ مخترع الموشّحات هو الخليفة العبّاسي الشّاعر عبد الله بن المعتزّ، واِستشهدوا على ذلك بوجود موشّحة في ديوانه مطلعها " أيّها السّاقي إليك المشتكى"، وهناك من يرى أنّ أحمد بن عبد ربّه هو مخترع تلك الموشّحات، ورغم وجُود هذه الإختلافات بين المؤرّخين، يتّضح لنا أنّه ليس من الضّرورة أن يكون هذا الفنّ نشأ على يد رجلٍ واحد، فكلُّ فنٍّ قبل وجوده واِكتماله يجب أن يَمُرّ بطور الإرهاصات[2] ، وفنّ الموشّحات في واقع الأصل فنّ أندلسّي خالص.وكان من أوائل الوشّاحين في الأندلس محمّد بن محمود القبري ومقدّم بن مُعافى القبري وأبا عمر اِبن عبد ربّه، و يوسف بن هارون الرّمادي، ويُعدّ هذا الأخير من الأوائل الّذين أكملوا فنّ التّوشيح، وجاء بعده مكرم بن سعيد واِبن أبي الحسن ثمّ عبّادة بن ماء السّماء، وعبّادة القزاز، وكان آخر وشّاح أندلسيّ محمّد اِبن زمرك[3]، الّذي اِعتمد في موشّحاته على سلامة اللّغة والنّحو من اللّحن والخطأ، فجاءت موشّحاته خالية من التّكلّف[4].

كان للبيئة الأندلسيّة دور كبير في رقّة الألفاظ وسهولتها ووُضوحها، أخذ منها الوشّاحون ألفاظهم ومعانيهم، فجاءت لغة الموشّحات سهلةً وجزلةً بعيدة عن التّعقيد، لِارتباطها بالغناء، لأنّ الغناء لا تلائمه الألفاظ الصّعبة والغامضة الّتي يصعب على السّامع والقارئ اِستيعابها، حيث دفعت

[1] – الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة؛ اِبن بسّام الشّنتريني، ص49.

[2] – الموشّحات الأندلسيّة نشأة و تطوّر، تأثير و تأثّر؛ عبد الفتّاح داودكاك. (د.ت)، 2015م ، ص 17.

[3] – اِبن زمرك: هو محمّد بن يوسف بن محمد بن أحمد الصّريحي أبو عبد الله المعروف باِبن زمرك و هو وزيـــرا من كبـــار الشّعراء و الكتّاب في الأندلس، أصله من شرق الأندلس، وُلد سنة 14 من شوّال 733هـ 9جوان 1333م، بحيّ البيازين، اِمتدّ في ميدان النّثر و النّظم، و تتلمذ على يد لسان الدّين اِبن الخطيب.

[4] – الموشّحات الأندلسيّة؛ محمد زكريا عناني. (د.ت)، عالم المعرفة، الكويت، 1979م، ص 268.

سهولة ووضوح لغة هذه الموشّحات الكثير من الباحثين إلى إتّهام تلك اللّغة بالرّكاكة والضّعف في معانيها، وعلى رأسهم بطرس البُستاني، وجودت الرّكابي، فهذا الأخير نظّم مجموعة من الموشّحات واِتّهمها بالرّداءة فأنجز مقارنة بين تاريخ الشّعر العربي والموشّحات، فقال:"فنحن إذا نظرْنا إليها من خلال تاريخ الشّعر العربي، نراها ظاهرة من ظواهر الإنحطاط، إذ أنّها في أَوَجِّ اِزدهارها في بلاد الأندلس لم تبلغ قوّة الشّعر التّقليدي ولاصفاء خياله وعُمق معناه وقوّة لغته"[1]، فالرّكابي أخلط بين الموشّحات و الزّجل الّذي يُعتبر فنًّا أقلّ منزلةً من الموشّحات لأنّه نُظّم باللّهجة العاميّة، أمّا بطرس البستاني فمرّة يمدح لغة الموشّحات ومرّة يذُمّها، فلغة الموشّحات لمْ يُصبها الضُّعف والرّكاكة لأنّ الموشّحات عامّة تتميّز برقّة الألفاظ و ترابط المعاني.

2-عناصر الموشّح :

يتكوّن الموشّح في بنائه من أجزاء فنيّة، ويُعتبر اِبن سناء الملك، أوّل من حدّد هذه الأجزاء، حيث اِلتزم بها الوشّاحون في نظْم موشّحاتهم وتتمثّل هذه الأجزاء في المطلع، الغصن، السّمط ، القفل ،الدّور، البيت، والخرجة، فالمطلع أوما يُسمّى بالمذهب هو القسم الأوّل في الموشّحة، يتكوّن عادةً من غُصنين أو أربعة أغصان، فإذا بدأ الموشّح بالمطلع سُمّي تامًّا، أمّا إذا لمْ يبدأ بالمطلع سمّي أقرع، وهناك أيضا الغُصن وهو كلّ جزء أو شطر من أشطُر القُفل بما في ذلك المطلع والخرجة، ويشترط في الموشّحة أنْ تتساوى الأقفال وعدد الأغصان وترتيبها و قوافيها[2].أمّا السّمط هوكلّ جزء من أجزاء الدّور يُسمّى سمطًا، وأقلُّ الأسماط في الموشّحة ثلاثة، مع اِتّفاق القافيّة في الدّور الواحد، وقدْ يكون السّمط مفردًا أي من فقرة واحدة، و القفل هو مجموع الأغصان المتكرّرة في الموشّحة، حيث يجب أن تكون متّفقة مع القُفل الأوّل الّذي هو المطلع وزناً و قافيّةً وعددالأغصان ،فإذا كان الموشّح أقرع يُبْنَى الموشّح على قُفل البيت الأوّل أو الخرجة[3]، وهناك من عناصر بناء الموشّح أيضا

[1]- في الأدب الأندلسي؛ د-جودت الرّكابي. (د.ت)، ط/2 ، دار المعارف ، مصر ، 1966 م، ص 43.

[2]- الموشّحات الأندلسيّة؛ محمد زكريا عناني. (د.ت)، عالم المعرفة، الكويت، 1979م، ص24.

[3]-الموشّحات الأندلسيّة؛ محمد زكريا عناني. (د.ت)، عالم المعرفة، الكويت، 1979م، ص26.

الدّور وهو المجموعة التّي تلي المطلع في الموشّح التّام، أمّا إذا كان الموشّح أقرع فالدّور يأتي في أوّله،ويبلغ عددها من ثلاثة إلى خمسة أجزاء، وقدْ يتجاوز ذلك، فالموشّحات التّي لم تفوق خمسة أدوار هي في الغالب الموشّحات الأندلسيّة، أمّا الموشّحات الشّعرية هي التّي لم يتقيّد فيها الوشّاحون بعدد معيّن من الأدوار.أمّا البيت فهو يتكوّن من الدّور والقفل الّذي يليه، والبيت نوعان هناك مركّب وبسيط، فالمركّب هو ما كان دوره يتكوّن من ثلاثة أسماط أو أربعة أو خمسة، وكلُّ سمطٍ يتكوّن من فقرتين أوثلاثة أو أربعة أو خمسة، أمّا البسيط هو الّذي يتكوّن دوره من ثلاثة أسماط أو أربعة أو خمسة فقط[1]. أمّا العنصر الأخير من عنـــاصر بناء الموشّحـــة يتمثّل في الخرجـــة التّي هي القفل الأخير في الموشّحة، و تُعتبر من أهمّ أجزائها، وهي العمود الأساسي الّذي تُبنى عليه الموشّحة[2]. ويعجز الوشَّاحُ حسب رأي اِبن سناء الملك عن الإتيان بخرجة بنفسه، فيستعير خرجة غيره، وجعل هذه الإستعارة في الوشّاحين المتأخّرين فيقول:" وفي المتأخّرين من يعجز عن الخرجة فيستعير خرجة غيره وهو أصْوَب رأيًا ممّن لا يُوفّق في خرجته بأن يُعْرِبها ويتعاقل ولا يُلحِن فيتخافق بل يتثاقل"[3].

فاِبن سناء الملك يُناقض ما ذهب إليه الباحثين الذّي يرَوْن أنّ الخرجة هي الأساس الذّي يُبنى عليه الموشّح، فما ذهب إليه اِبن سناء الملك في مقولته بعيد عن ما ذهب إليه الباحثون لأنّ العجز عن الإتيان بخرجة ينهي الموشّحة وينفي وجودها تماما[4] وللخرجة ثلاثة أنواع وهي الخرجة المعربة، والعامّية، والأعجميّة، فالخرجة المعربَة هي التّي وردت بلغة عربيّة فصيحَة، و تتميّز بها الموشّحات الشّعرية الّتي تُقال في الغزل والمدح، وغير ذلك، والخرجة العاميّة هي التّي جاءت بلهجة عربيّة محليّة،

[1]- الموشّحات و الأزجال الأندلسيّة و أثرها في شعر التروبادور؛ محمّد عباسة،(د.ت)،ط/1،دار أمّ الكتاب للنّشر والتّوزيع، الجزائر،1433هـ-2012م، ص 68-69.

[2]- دفاتر أندلسيّة في الشّعر والنّثر والنّقد والحضارة والإعلام؛ يوسف عيد.(د.ت)، المؤسّسة الحديثة للكتاب، طرابلس، 2006م، ص 372.

[3]- دار الطّراز في عمل الموشّحات؛ اِبن سناء الملك .ت :د-جودت الرّكابي .ط/1،دار الفكر، دمشق ،1368هـ-1949م،ص44.

[4]- الموشّحات الأندلسيّة؛ محمد زكريا عناني.(د.ت)،عالم المعرفة، الكويت،1979م، ص26.

ويُفضّلهَا الوشّاحُون لأنّها مأخوذة من ألفاظ العامّة، أمّا الخرجة الأعجميّة هي التّي كانت باللّغة الرّومانثيّة وتتكوّن من مختلف اللّغات المحليّة واللّغة العربيّة لسكّان الأندلس الأصليّين. واِستخدم الوشّاحون بعد ذلك خرجات بلغات أخرى كالفارسيّة والتُّركيّة، فالخرجتان العاميّة والأعجميّة توجدان بكثرة في الموشّحات الغنائية[1]، فوُجود هذه الخرجات يُعدُّ خروجًا على اللُّغة التّي نُظّمت بها الموشّحات الأندلسيّة.

3-الأوزان الشّعرية :

تتميّز الموشّحات الأندلسيّة عن بقيّة الفنون الشّعريّة بوُجود أوزان غنائيّة، قسّمها اِبن سناء الملك في كتابة " دَار الطّراز في عمل الموشّحات" من حيث الأوزان إلى خمسة أقسام، الأوّل ما كان على أوزان الشّعر التقليديّة، والثّاني ما خرج على الأوزان التقليديّة بحركة أوكلمة، أمّا الثّالث ما اِشترك فيه أكثر من وزن واحد، والرّابع ما يُدْرَك وزنه بالسّمع عند القراءة، أمّا الخامس مالا يُدرك وزنه إلّا بالتّلحين[2].

ومن بين الأغراض التّي نُظّمت بها الموشّحات الأندلسيّة، تتمثّل في الغزل والمدْح، والوصف والرّثاء، التّهنئة، وأيضًا غرض الزّهد والتّصوّف. ومن هنا نتَساءل على لسانيات الموشّح مضمونًا عند محمّد اِبن زمرك؟.

ونشير في تتمّة هذا الجزء من الدّراسة إلى أنّنا سنتناول موضوع لسانيات الموشّح مضمونًا عند محمّد اِبن زمرك.

[1]- الموشّحات الأندلسية؛ محمد زكريا عناني.(د.ت)، عالم المعرفة،الكويت،1979م، ص 29.

[2]- دار الطّراز في عمل الموشّحات؛ اِبن سناء الملك. ت:د-جودتالرّكابي.ط/1،دار الفكر، دمشق، 1368 هـ-1949م، ص 46-49.

الفصل الأول

لسانيات الموشّح مضمونا عند محمّد ابن زمرك

أولا: موضوعات الموشّح عند محمّد ابن زمرك

1- المدح

2- الغزل

3- الرّثاء

4- الوصف

ثانيا: التّفاوت في الأخذ بالأغراض

1- بناء الموشّحة

نظر هذا الفَصل في عُنْوان لسانيات الموشّح مَضمونًا عند محمّد اِبن زمرك، فقسَّمْته إلى قسْمين، الأوّل عرضْتُ فيه موضوعَات الموشّح عند محمّد اِبن زمرك، أمَّا الثّاني فتَحدّثْتُ فيه عَن التّفاوت في الأخذ بالأغراض.

أوّلاً : موضوعات الموشّح عند محمّد ابن زمرك :

خاض محمّد اِبن زمرك في نَظْم موشَّحَاته أغراضاً شعريّة متنوّعة منها:

1 – المدح:

الأغراض المدحْيّة الموجُودة في ديوَان اِبن زمرك، تَتَفاوَت منْ النَّاحيَة الكَمّية، فقَدْ حُظي بعضها بقسط وفير، أمّا بعض الآخر فقد اِكتفى بالإشَارة إليْه فقط[1]، وجَاءَتْ موشّحاتْ المدح مرتبطة بأغراض أخرى كالغزل و الخمر.

يُعدّ اِبن زمرك من أهمّ وأبرز شعراء الأندلس، قال في إحدى موشّحاته ذاكرًا تشوّقه إلى غرناطة ومادحًا الغنيّ بالله [2]:

بـالله يـا قامـة القَضـيب ومُخْجِل الشّمْسِ والقمرْ

منْ ملّك الحَسَن في القلوبْ و أيّـد اللّحْظ بالـحَـوَرْ

مـــنْ لمْ يـكُـنْ طبْعُـــهُ رقيـقـــا لـمْ يـــدْر مـــا لـــذّة الصّبَـــا[3]

نُلاحظ في هذه الأبْيَات أنّ اِبن زمرك عبَّر عن شَوْقه لغرناطة، ومُعَاناته اتّجَاهَهَا، فَهُو يُذكِّر بجمالها الفاتن وبهائها أمام الغنيّ بالله.

[1]– حياة وآثار اِبن زمرك؛ حمدان حجاجي. (د،ط)، ديوان المطبوعات الجامعيّة، والمؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1989م، ص 80 .

[2]– شعر و موشّحات الوزير ابن زمرك الأندلسي؛ حمدان حجاجي . (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعيّة،والمؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر،1989م، ص143.

[3]– الصِّبَا : من الشّوْق يُقَالُ منه : تَصَابَى و صَبَا يَصْبُو صَبْوَةً و صُبُوًا أي مَالَ إلى الجَهْلِ و الفُتُوَّةِ.

مدينة غرناطة هي منشأ ومنبع ذكريات اِبن زمرك، ومن ذلك ما كتب به للغنيّ بالله[1] :

أبلغ لغرناطة سَلامــي وصف لها عهْديَ السّليم

فلو رعى طيْفها ذمامي ما بتُّ في ليْلــة السَّليم

كمْ بــتُّ فيــهــا على اقــتــراح أعــلُّ من خَــمْــرَة الرُّضَــاب[2]

اِتّضَحَ لنا في هذه الأبْيَات أنّ اِبن زمرك يصفُ شَوْقه لغرناطة، ومُعانَاته وحُزْنه، بسبب بُعده عنها، فطالت عليه الأيّام فشعر بالملل، وذاق مرَارَة التّغرّب عن الوطن، ولأَجل تَخْفيف معاناته والتّفريج عن نفسه، نظّم موشّحة في غرناطة، وهُو قائم في المغرب وَوَجَّهها إلى الغنيّ بالله .

والمدينة الثّانيّة التّي لفتت نظر اِبن زمرك هي مالقة، فعلاقَتُه بها ليْست تلك التّي كانت له بغرناطة، وفي هذا الصّدد يصف مالقة ويمدح الغنيّ بالله قائلا[3] :

عليْــك يا ربّةُ السّلام ولا عدَا رَبْعَك المِــطَر

مُذْحلّ في قَصْرك الإمام فقرْبُك السُّؤُلَ و الوَطَر[4]

كــمْ فيــكَ للــمُغْــرم المِشُــوق من مــنْظَــر يُبْهــجُ النُّفُــوس

فاِبن زمرك قَبْل أن يبدأ في مدح الغنيّ بالله الّذي هو المَوْضوع الأسَاسي، بَدأ في وصْف مدينة مالقة وصفًا كان بمنزلة تمهيد لموشّحته، وذكر أهمّ ما تتميز به من جمال و بهاء، وطبيعة خلاّبة.

[1]– شعر وموشّحات الوزير اِبن زمرك الأندلسي؛ حمدان حجاجي. (د.ط)،ديوان المطبوعات الجامعيّة، والمؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر،1989م ،ص 146.

[2]– الرُّضَابُ : ما يَرْضُبُه الإنْسَان مِنْ ريقِه كأنَّه يَمْتَصُّه، وإذا قبَّل جَاريتَه رضَبَ رِيقها، و قيل الرّيق المَرْشُوف، وقيل: هو تقطُّعُ الرِّيق في الفم، وكثرة ماء الأسْنَان.

[3]– شعر وموشّحات الوزير اِبن زمرك الأندلسي؛ حمدان حجاجي . (د،ط)، ديوان المطبوعات الجامعيّة، والمؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م ، ص 151.

[4]– الوَطَرُ ، مُحَرَّكةً: الحاجةُ ، أوحَاجَةٌ لَكَ فِيهَا همٌّ وعِنَايَةٌ، فإذَا بَلَغْتَها، فقَدْ قَضَيْتَ وَطَرَكَ ج : أَوْطَارٌ.

الصبّوحيات كانت من أهمّ الأغراض الجديدة عند اِبن زمرك، وهو ما يُقَالُ في شُرْب الخمْر صباحًا، فيقول في ذلك[1] :

رَيْحانَةُ الفَجْر قَدْ أَطَلَّتْ خَضْراءَ بالزُّهْر تَزْهَـرُ

وَ رَايَة الصُّبْح إذَا أَظَلَّتْ في مَرْقَب الشَّرْق تُنْشَر

فالشُّـهْب مـــن غَـــارة الصَّبـــاح تَـرْعَـــدُ خَـــوْفًـــا و تَـخْـفـــــقُ

اِتّضح لنا من خلال ما سبق أنّ محمّد اِبن زمرك، يصفُ ألوان الصّباح الجميلة، في منظرا ربيعيّ، مُعجبًا بجَماله وبهائه، وبضيائه السّاطع على أحضان الطّبيعة.

أخْلط اِبن زمرك في موّشحاته بين المديح والتّهنئة، كتهنئة السُّلطان موسى بن السّلطان أبي عنان وقد وجَّه إليه الغنيّ بالله أمَّه وعياله عند تملّكه المغرب من قبله، فقال[2] :

لقَاؤُها المبْرور مسْـكُ الـختَام بـشَّرَكَ الله بصُنْع عجيبْ

و قصْرُك الميْمُونُ قَصْرُ السَّلاَم خُصَّ بحفْظٍ من سميع مُجيبْ

مـــولاي يَهْـنيـــك و حـــقُّ الـهَنـــا قَـدْ نُـظـمَ الشَّـــمْلُ كَنَظْـم السُّـــعُودْ

تبيّن لنا منْ خلال ما تقَّدم، أنّ اِبن زمرك خرج بالموشّح إلى أغراضٍ لم تكن مَوْجودة في التّوشيح، فكانت التّهَاني منْ تلكَ الأغراض الجديدة التّي تناولها في موشّحاته .

[1]–نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب؛ الشّيخ أحمد بن محمّدالمقري التّلمساني. ت: د– إحسان عبّاس، مج:7، (د.ط)، دار صادر، بيروت ، 1408هـ – 1988م ، ص 249.

[2]– شعر وموشّحات الوزير اِبن زمرك الأندلسي؛ حمدان حجاجي.(د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعيّة ، والمؤسّسة الوطنيّة للكتاب،الجزائر، 1989م ،ص 155.

فإبن زمرك كان يذهب إلى القصر الملكي في ليلة الثّاني عشر من ربيع الأوّل من كلّ عام، لينشد مولّدياته بحضور الغنيّ بالله، ويقول في مدح المصطفى صلّى الله عليه وسلّم [1]:

لو تَرْجعُ الأيّام بَعْدَ الذَّهَابْ لم تَقْدَح الأشوَاق ذكْرَى حَبيبْ

فَكُلُّ مَن نَامَ بليْل الشَّبَـاب يُوقظُـه الدَّهر بصُبْح المِشيـبْ

يـا رَاكـبَ العـجْز ألاَ نهضـة قـد ضَـيَّقَ الدَّهْرُ عَلَيْكَ المِجَـالْ

يظهر لنا في هَذه الأبْيَات أنَّ شَاعرَنَا يتمنّى عودة الشّبَابْ، ليتمكَّن من زيارة قبر النّبي صّلى الله عليه وسلّم، الّذي كان له الفضل في إخراج البشر من الظّلمات إلى النّور، فالله سبحانه وتعالى فضّله على جميع العباد، وأعطَاهُ مَكانةً مرمُوقَة وَعاليَة، ليكون قُدوَة يقْتَدي بهَا عبَادُه.

يتّضح من خلال مَا سَبق أنّ موشّحَات المدح عند اِبن زمرك، جاءت مرتبطة بأغراض أخرَى، كما أنّه لم يخرج عن المنهج الّذي اِتّبعه الأوّلين من حيث بناء الموشّحة، فقد جمع فيها بين منهج الباحثين القدماء والمحدثين، فاستهلَّ موشّحاته بالغزل وذكر الأطلال، فلا يوجد معاني جديدة عنده، فقد صاغَ مَعَاني غيره من القدماء بأسلوبه الجديد.

وغيْر المدح عُنيَ اِبن زمرك بغرض الغَزل:

2 – الغزل:

اِرتبط الغزل بالإنسان منذ القديم، ذلك لأنّه يحاكي مشاعره وعواطفه، ويُعَبّر عن فطرته الّتي جعلها الله فيه، وهو من أهمّ أغراض الشّعر النّسوي بالأندلس إلى جانب اِنتشار اللّهو والتّرف

[1]– شعر و موشّحات الوزير ابن زمرك الأندلسي؛ حمدان حجاجي. (د،ط) ، ديوان المطبوعات الجامعيّة، والمؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م ، ص 156 .

والغناء في المجتمع الأنْدَلُسي خاصَّة الغرناطي[1] ، ويعني الغزل " وصف محاسن المحبوب والتّعبير عن عاطفة الشّوق، ووصف حال المحبّ ، و التودّد للحبيب"[2] .

حُظيَ شعر اِبن زمرك بنصيب كبير من الأغراض الغزليّة، يعود ذلك لتلاؤمه مع مزاجه الذّي كان يميل إلى الجمال، و قد جاء شعره مختلطا بالحياء، فهولم يتحدّث بحديث مخّل بالقيم، ممّا يقلّل من مروءته.

فكلّ إنسان بعيد عن محبوبته يشعر بالحرج و ضيق الصّدر، وشدّة العذاب، فيفضّل الصّمت و العزلة ليُخَفّفَ من عذابه وآلامه ، ويُفرّج عن نفسه، فاِبن زمرك كان يقضي أوقاته في ذكرحبيبته، فلا أحد يحسُّ و يشعُر ما كان يشعر به، ويذهب لمواساته ، ولكن كان كلّ ما يهمُّهُ هو أن تَعْلَم حبيبَتَه ما يعانيه لأجلهَا، لعلّها تحنّ عليه، وفي هذا الصّدد يقول[3] :

لَيْـلي عـلَيْك نـهاري وبـالسّـــهـــاد[4] أبَيْـتُ

مُـفْـتَـــرشًـا شـــوْك القَـــتـــاد[5] مُسَرّح الدّمـــع مَأْسـور الفـــؤاد

ولـــي عَـــلى النّـــوم شَاغـــــــل أَلْيْـسَ تَـــــدْري الـــعَـــــــوَاذل

فاِبن زمرك كان يشكو من شدّة ألمه و حُزنه، وذلك بهدف أن يُلفت نَظَرَ حَبيبته ، ولكن هذه الحبيبة كانت متكبّرة ومغرورة بجمالها، تتجاهل كلّ من ينْظُرُ إليْها ويحبُّها .

[1] – الشّعر النّسوي الأندلسي أغراضه وخصائصه الفنّية؛ سعيد بوفلاقة. (د،ت)، ط/1 ، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1995م ، ص 192 .

[2] – الحركة الشّعرية زمن المماليك في حلبْ الشّهباء ؛ أحمد فوزي الهيب. (د،ت)، ط/1 ، مؤسسة الرّسالة، بيروت، 1986م، ص 111 .

[3] – شعر وموشّحات الوزير اِبن زمرك الأندلسي؛ حمدان حجاجي. (د،ط) ، ديوان المطبوعات الجامعيّة، والمؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م ، ص 161.

[4] – السُّهْدُ ، بالضَّم : الأرَقُ، وقَدْ سَهدَ، كَفَرِحَ.

[5] – القَتَادُ ، كسَحَابٍ : شجرٌ صُلْبٌ له شوْكَةٌ كالإبَر.

ويبحث شاعرنا عن صديق يبوح له بأسراره، ويحكي له همومه، حتّى يخفّف من مُعاناته وعزلته، لكن لسوء الحظّ لم يجد شيئًا، فالتفت إلى الطّبيعة فرأى النُّجُوم لا تزال ساهر معه ، ومصَاحبةٌ له فيقول[1] :

عَزَائـــمُ الصبْر فيك حُلَّتْ وعُقْـدَة الصَّبْر تُذْخَـــر

قد أكثرت منك ما اِستقلّت وليْتَ لـو كنـت تَشْـعُر

كـــم لَـيْلَـــة بتُّـــهَـا وبتَّـــا ضـدّيـــن في السُّـــهْد والرُّقـــاد

أسَـــامـــرُ النَّـــجْـــمَ فيـك حتَّـــى عَلّمْـــتُ أَجْـفَانَـــهُ السُّـــهَـــاد

نلاحظ من خلال هذه الأبيات أنّ اِبن زمرك يشعر بالهدوء والإطمئنان عند رؤية النُّجُوم في السَّماء، لكن هذا لا يُنْسيه محبوبَتهُ ، وإنَّما ذلك من أجل التّغافل عن صورتها فقط ، ولكن سُرعان ما تَعُود أمام عيْنَيْه بين حين و آخر.

كلُّ إنسان لا يستطيع أن يَغُضَّ نَظَرَهُ عن جمال محبوبته خاصَّة عند مرورها أمامه وكان اِبن زمرك كلَّما يتفاجئ برؤيتها ينْفَتَن بجمالها وسحْرهَا، فيقُول[2] :

كَمْ وَالـــه هَيْمـــانْ بِصُبْح وَجْه مُسْفـــرِ

ضـيَاؤهُ قـد بـــانَ من تَحْتِ ليلٍ مُقْـــمِر

يَـــا مَـــطْلَـــعَ الأنْـــوَار كـــم فيـكَ من مـــرأى جَمِيـــل

ونَـــــزْهَـــــة الأبْـــصَـــار مـا ضَـرَّ لـو تَشْـــفِي الغَلِـيل[3]

فشاعرنا كان معجبٌ كثيرًا بِجَمَال حبِيبته الفاتن، الّذي أثار دهشته، حتّى أنّها كانت لا تغيب عن باله، ولا يتذوّق راحة النّوم أبدًا من شِدَّة التّفكير فيها.

[1] – شعر و موشّحات الوزير ابن زمرك الأندلسي؛ حمدان حجاجي. (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعة، والمؤسّسة الوطنيّة للكتاب ،الجزائر ،1989م ،ص 142.

[2] – شعر و موشّحات الوزير اِبن زمرك الأندلسي؛ حمدان حجاجي. (د.ط)،ديوان المطبوعات الجامعية، والمؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر ، 1989م، ص 139 .

[3] – الغلِيلُ : الحِقْدُ.

يتّضح من خلال ما تقدّم أنّ اِبن زمرك في شعره الغزلي كان تقليديًّا، فقد تناول أغلب الموضوعات الّتي أخذها الشّعراء قبله، حيث أنّه ذكر بعض المسمّيات التّاريخيـّة كالأطلال والأزهــار و البَسَاتين، وذلك في معانٍ تقليديّة كما نلاحظ أنّ عاطفته تَفَاوَتَتْ ما بين صادقةٍ وتقليدٍ للقدماء.

وغير غرض الغزل، اهتمَّ ابن زمرك بغرض الرِّثاء:

3 – الرّثاء :

ظهر الرّثاء في العصر الجاهلي، فهو غرض شعري قديم، انتقل بَعد ذلك إلى الأندلس، فتطوّر و اِزدهر فيها[1].

يُعَدُّ الرّثاء من الألم و الحزن من أجل حبيب فارق الحياة، لو تمعّنا في معناه لوجدناه أقرب إلى مفهوم العزاء، الذّي يظهر عليه أثر المواساة والتّخفيف من الحزن، والتّذكير بحقيقة الموت والحياة[2].

فاِبن زمرك لم يهتم بغرض الرّثاء اِهتمَامًا كبيرًا، فَلَمْ نعثُر في ديوانه إلاَّ على أربع مَرْثِيَاتٍ فقَط، وجد نفسه فيها، بعد فقدان أغلى إنسان يُحبّه و يَمْلكه في حياته، و هو الغنيّ بالله الذّي تألّم كثيرًا بسبب فقدانه ، فيقول في رثائِه[3] :

كَمْ مِنْ رِيَاضٍ به وِسَام يُزْهَى بِهَا الرّائد المِسيم

غَـدِيرُهَا أزْرَقُ الجِمَـام[4] وَ نَبْتُـهَا كلّـه جِميـم

أعِـنْـدَكُـم أنّـنِـي بِفَـاس أُكـابِـدُ الـشـوْق و الـحَنـيـن

---

[1]– رثاء المدن بين سُقوط الأنْدلُس و أحْداث الثّلاثاء الأسْود؛ جغام ليلى، جامعة محمّد خيضر، بسكرة، الجزائر، عدد 4 ، جانفي، 2009 ، ص 19 .

[2]– شعر الرّثاء العربي؛ عبد الرّشيد عبد العزيز سالم. (د،ت) ، ط/1 ، وكالة المطبوعات، الكويت، 1982م ، ص 89 .

[3]– شعر و موشّحات الوزير اِبن زمرك الأندلسي؛ حمدان حجاجي. (د.ط)،ديوان المطبوعات الجامعية، والمؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1989م، ص146 -147.

[4]– الجَمَام، و الكَيْلُ إلى رأس المكْيَال كالجِمَام، مُثَلَّثَةً، و بالكسْر: الشّيطان أو الشياطين.

ثمّ يقول في رثاء غرناطة[1] :

فَقَـلْبَه مِنْ شَوْقِهِ فِي اِلتهَـابْ قَدْ أحْرَقَ الأكْبَاد منْه الوَجِيب

وَالجفنُ مِنه سُحْبُهُ فِي اِنسكابْ قدْ روّضَ الخدَّ بدَمْعٍ سَكِيـب

غَـرنـاطـةٌ رَبْـعُ الـهَنـا والمنـى وقُرْبُـهَا السُـؤْلَ ونَيْـل الوَطَـر

يُعْتَبر غرض الزّهد من الألوان الشّعرية التّي لم يهتمّ بها اِبن زمرك كثيرًا ، ولم يكثر منها في موشّحاته، ذلك لأنّ الظروف التّي كان يعيشها لم تسمح له ليستقلّ بنفسه، كي يتأمّل و يتزهّد من جهة ، ومن جهة أخرى مدى رغبته وطموحه للوصول إلى هدفه وهو في ريعان شبابه ليسْتمتع بالحياة وكلُّ ما يوجد فيها، فهو لا يترك ما كان يسعى وراءه سنينا طويلة[2].

فاِبن زمرك و الزّهد كانا متخالفان،و خير دليل على ذلك أنّ ما جاء في شعره، لا يشُدُّ انتباه الأنظار اِكتفى فيه بتكرار حقائق و أفكار بسيطة ومعروفة، كانت مجرّد حديث لا فائدة منه، مثل أيّام الشّباب الّتي لا تستمِّر، و الشّيْخوخة التّي سُرعان مَا تُفاجئ الإنسَان[3] ، فيقول اِبن زمرك[4]:

والعُمْر قَدْ مَرَّ كَمَرِّ السَّحَابْ والمُلْتقى بالله عَمَّا قَرِيـب

وأَنتَ مَخْلُوع بِلَمْـع السّرَابْ تَحْسِبه ماء و لا تَستَرِيب

و الله مَـا الكَوْنُ بمـا قَـد حَـوى إلاَّ ظِـلاَلُ تُـوهِـمُ الـغَافِـلاَ

نُلاحظ من خلال ما سبق أن شاعرنا يتحدّث عن ضعف الإنسان و غروره بالحياة وشهواتها، وعدم اِلتفاته إلى رؤية الحقائق التّي هي سبيل الطّرِيق المستقيم، وهو يُذكّر الإنسان أيْضًا بأنّ لا ملجأ له سوى إلى العليّ القدير.

---

[1]- شعر و موشّحات الوزير ابن زمرك الأندلسي؛ حمدان حجاجي. (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعيّة، والمؤسّسة الوطنيّة للكتاب ،الجزائر ،1989م، ص157.

[2]- حياة و آثار ابن زمرك ؛ حمدان حجاجي ، ص 143.

[3]- حياة و آثار ابن زمرك ؛ حمدان حجاجي ، ص144.

[4]- شعر و موشّحات الوزير ابن زمرك الأندلسي؛ حمدان حجاجي، ص 156.

ويقول أيضا مُتَحسّرًا[1] :

فَكُلُّ منْ يَرْجُو سِوَى الله خَابَ وإنَّمَا الفَــوزْ لـعَبْدٍ مُنِيــب

يَـسْتَقْبِل الرَّجْعَى بِصِدْقِ المتَـاب ويَرْقُب الله الشَّهِيدَ القــريب

يـَا حَـسْرَتَا مــرَّ الـصِّبَــا و اِنْقَــضَى وأقْبَـلَ الشِّيْــبُ يَقُــصُّ الأثَــرْ

واِخــجلتا و الرّحْــلُ قَــدْ قُــوِّضَا ومَا بَقــيَ في الخُــبْر غَيْرُ الخَــبَر

اِتّضَح لنا من خلال هذه الأبيات أنّ اِبن زمرك يدعونا إلى التّأمّل و النّظر في حقائق الأمور قبل أنْ تُفاجِئَنا أيّام الشّيْخوخة، ونشعُر بِالنّدم لأنّ النّدم لا ينفع بَعْد فوات الأوان، واِعترف بأنّه لم يتهيّأ لأمور الدّنْيا، ولمْ يتّبع الطّريق المستقيم، حتّى فاجئه الزّمن في يوم من الأيّــام، و لكن لا حياة لمن ينادي، لأنّ الأيّام الّتي مرّت من عمره لن تعود.

وبناءًا على ما سبق نلاحظ أنّ اِبن زمرك اِعتمد على غيره من الشّعراء في مرثياته ،بأسلوب تقليديّ ومعاني تقليديّة قليلة الحظّ من الإبتكار، وكان موضوع الحنين إلى الوطن من أهمّ المواضيع الّتي طوّرها وأبدع الأندلسيّون فيها وأكثروا منها في شعرهم.

وغير غرض الرثاء عُنِيَ اِبن زمرك بغرض الوصف أيضا:

4 – الوصف:

يُعتبر الوصف غرض من الأغراض الشّعرية ، حيث تميّز الشّعر الأندلسي، بوصف الطّبيعة، خاصّة الأزهار و الرّبيع[2].

ويعتبر الوصف عُنصُر أساسيا من عناصر الموشّحة الأندلسّية، وأصبح غرض مستقلٌ عن الأغراض الأُخْرَى [3] .

[1] – شعر و موشحات الوزير ابن زمرك الأندلسي؛ حمدان حجاجي، ص 156.

[2] – في الأدب الأندلسي؛ السّعيد الورقي . (د.ت) ،الدّار المصرية، الإسكندرّية، ص 64 .

[3] – في الأدب الأندلسي؛ د–جودت الرّكابي. (د.ت) ، ط/2 ، دار المعارف ، مصر ، 1966م ، ص 120.

فإبن زمرك قد فتن بجمال الطّبيعة السّاحرة لغرناطة ونواحيها،كما كان الأمر بالنّسبة لشاعر جزيرة شقر الجِنان إبن خُفاجة الذّي اتّخذه شاعرنا قدوةً، وتأثّر به إلى حدٍّ بعيدٍ.

وكانت الرّياح الخفيفة التّي تُرافِقها الزّوابع الرّمليّة، و لا ينتجُ عنها أضرارًا تُؤدّي إلى تشويه منظر الطّبيعة، هي أوّل ما لَفِت إنتباه إبن زمرك، حيث يقول[1]:

والدَّوْحُ [2] يُومِي إلى السُّجُود شُكْرًا لِذي الأنْعُم الجِسام

والرّيـــحُ خَفّاقَة البُنُـــود تُبَاكِرُ الرَّوْضَ بِالغُمَـــام

مـــظـاهِـــرٌ للـــجَـــمَـال تُحْـــلـى قَـــدْ هَـــزَّ أعطافَـــهَا السُّـــرور

ولعلّ ما شدّ إنتباه شاعرنا في هذه الطّبيعة أيضًا تلك المناظر الخلّابة، والبساتين الخضراء، والأزهار الجميلة، وفي هذا الصّدد يقول[3] :

نَواسِـــمُ البُسْتَـــان تَنْثُـــر سِلْك الزَّهـــرِ

و الطِّـــلُ في الأغْصان يـنْظِـــمُهُ بالـجَـــوْهَـــرِ

و رَايَـــــــة الإصْـــبـــــاح أضَـــــاء منـــــهـــا المَشْـــــرقُ

[1] – شعر و موشّحات الوزير إبن زمرك الأندلسي؛ حمدان حجاجي. (د،ط)، ديوان المطبوعات الجامعيّة، والمؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1989م ، ص154.

[2] – الدَّوْحُ، الدَّوْحَة: الشّجرةُ العَظِيمة ، ج : دَوْحٌ.

[3] –شعر وموشّحات الوزير ابن زمرك الأندلسي؛ حمدان حجاجي. (د،ط)، ديوان المطبوعات الجامعيّة، والمؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1989م ، ص 139.

أمَّا غرض النّسِيم العَليل، فقد جاء كثيرًا في شعر اِبن زمرك، حيث أنّه يزرعُ الرّاحة و الهدوء والطّمأنينة في نفسه، أثناء هبوبه مُدَاعبًا الأزهار و الأشجار و الأغصان[1]، فينطق قائلا[2] :

و اسْتَقْبَل البَدْرُ لَيَالِي التّمَام[3] و صَافَحَ الصُّبحَ بِكَفٍّ خَضِيبْ

و راجَعَ الأطْيَارُ سَجْعَ الحِمام بِكُلّ ذِي لَحْنٍ بَديـــع غَرِيبْ

نَوَاسِـــمُ الوَادي بِـمِسْـــكٍ تَفُوح و نَفْحَـــةُ النَّـــدِّ بِـــهِ تَعْبَـــق

وَ بَهْـــجَةُ السُّـــكَـان مِنْه تلُـــوح و جَـــوُّه من نُورِهِـــم يُـــشْـــرق

يتّضح من خلال ما سَبَق أنّ اِبن زمرك يشير إلى دوْر النَّسِيم العَلِيل، الذّي يمَّثل الصّديق الحَنُون للعُشَّاقِ فِي اللّيْل أثناء عُزلتهم، فهو يزيد من سعـادتهم، ويُدْخل البهجـة والفرح في نفُوسهم، و يخفّف من مُعاناتهم.

ولا يُنْكر اِبن زمرك قُدرَة الله تَعالى المتمثّلَة في النُّجوم والبَدْر والشّمس وغيرها، فهو لا يشعر بالملل عِنْد التّأمل في اللَّيل الذّي يبدو تارةً مخِيفًا، و تارةً أُخرى مُطْمَئِنًّا، فينطقُ قَائلاً[4] :

يَا قَلْبُ إِنِّي أَرى العِشْقا جرَّدَ عَلَيْنا دَاهِيَـــهْ

وهَبَّتْ رِيحه من الوَجْـد عَفَّتْ رُسُوم العـــافيّهْ

مَا أجْـدَى مَـــنْ هـــام في حـم أنْ يسـهـر اللّيْـــل الطّويـــلْ

وقَدْ اِهتّمَ شَاعرنا بوصف الأزهار اِهتمامًا كبيرًا، ويرى أنّ للأزهـار دورًا كبيرًا في تزيين الطّبيعة، و زِيَادَتها روعةً وجمالاً، فيقول[5] :

---

[1] – حياة و آثار ابن زمرك ؛ حمدان حجاجي . (د،ط)، ديوان المطبوعات الجامعيّة ، و المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر ، 1989م ، ص 175

[2] –شعر و موشّحات الوزير ابن زمرك الأندلسي؛ حمدان حجاجي، ص 155.

[3] – لَيْلُ التِّمام ، كَكتابٍ ، ولَيْلٌ تِمَامِيٌّ: أَطْوَل لَيالي الشِّتَاءِ ، أوهي ثلاثٌ لَا يُسْتَبَانُ نُقْصَانُهَا، أوهي إذا بَلَغَتِ اثْنَي عَشَرَة سَاعةً فَصَاعِدًا.

[4] - شعر و موشّحات الوزير ابن زمرك الأندلسي؛ حمدان حجاجي، ص159.

[5] – شعر و موشّحات الوزير ابن زمرك الأندلسي؛ حمدان حجاجي، ص 144 .

كم خَرَّق الزّهرُ من جُيُوبْ وكَلَّلُ القُضْـــبَ بالدُّرَرْ

فالغُصْن كالكَاعِبْ اللّعُوبْ والطّيْر تَشدو بلا وتَـــرْ

ولائِـــم النَّـــصْـــر في اِحـــتِفـال وفَـــرْحُ ديـــنِ الهُـــدَى جَـديد

ويرى أنّ الأشجار بأغصانها و أوراقها هي أساس الطّبيعة وجوهرها، إذْ لا تُسمّى الطّبيعَة طبيعةً بِدُونِها، ويُشير إلى الأوراق المكَثّفة الّتي تسمح لنا بأنْ نَسْتظلَّ تَحْتَهَا من أشعَّة الشّمس المحرقة، فيقول[1]:

ودَوْحُهَا ظِلُّهَا ظَلِيـــل يحْسُن في ربْعِه المقيـــل

والبَرْق و الجَوّ مُسْتَطِـــيل يَلْعَب بالصّارِم[2] الصّقِيل

عَقِيلـــة تَـاجُهَـــا السَّبِيـكَة تُطِـــلُّ بالـمَرْقَـــب الـمُنـــِيف

نلاحظ من خلال ما سَبَق أنَّ للبيئَة دَورًا فعَّالاً في شِعْر الوَصْف عندَ اِبن زمرك، فطَبِيعة غرناطة لَفِتَتْ اِنتبَاهَه نظرًا لما تتميّز به من البَساتِين الجَمِيلَة، والمرُوج الخَضْرَاءِ، والأَوْدِية والأَنْهَار، والجِبَال و السّهُول الخضراء، و القصور الفَاخرة، فصوَّرها و أبْدَع التَّصْوير فيها، على الرّغم من أنّ أوصافه كانت قليلة الإبداع والإبتكار.

[1]– شعر و موشّحات الوزير ابن زمرك الأندلسي؛ حمدان حجاجي. (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعيّة ، والمؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1989م ، ص 145.

[2]–الصَّارِم : السَّيْفُ القَاطِعُ.

ثانيًا : التّفاوت في الأخذ بالأغراض :

تميّزت مُوَشَّحات اِبن زمرك من حيثُ بنَاء شَكْلِها بالتّفاوت و الإختلاف بين غَرَض وآخَر.

1 – بناء الموشّحة :

ذكر المقري خَمْسُ عشرة مُوَشّحة لِابن زمرك لم تَرِد في أيّ مَصْدَر من المِصَادر الأَنْدَلسية[1]، أمّا النّثر فأغْلَبُه فُقِد ولم يصل إلينا إلَّا ثلاث رَسَائِل، وقِطْعَتَان قصيرتان[2] ، ووَصَفَه إسْمَاعِيل اِبن الأحمر بأنّه " علم الكتابة "[3]، وجاءت موشّحات اِبن زمرك مُخْتَلفَة ومتفاوتة في الطّول ومُتَساوية في الأغصان، والأسماط وكانت لُغَتُهَا جزلةً وألفاظها سهلة وواضِحَة، خاليّة من التّعقيد، بعيدة عن لغة الموشّح و كثرة مقاطعه الغنائية، كما ورد ذلك عِنْد لِسَان الدّين اِبن الخطيب، واِبن خاتمة، فهي تشبه الشّعر العمودي، وخرجاتها جاءت مُعربَة، وقوافيها متنوّعة ومختلفة.

تتميّز موشّحات اِبن زمرك بالحديث عن المدِيح، والحنِين والشَّوْق إلى مَدينَة غَرْناطة، و يُعَدُّ غرض المديح والتّهنئة من أهمّ الأَغْرَاض و أَبْرَزها التِّي غَلَبَتْ على موشّحاته، فكلاهما موجودان في كلّ موشّحاته، خاصّة الموشّحة الأَخِيرة من المديح النّبوِي جَعَلها مَوْلديّة، ووجود غرض المديح في موشّحات اِبن زمرك يختلف ويَتَفَاوَت في حُضُورِه من مُوَشَّحة إلى أُخْرَى، فمَعَانِيه ودَلَالاتُه مُتَعَلِّقة بوَاقِع الأَنْدَلس، فاِبن زمرك اِستخدَم المعاني التّقليديّة في وصف ممدوحه، إذ اِتّبع منهج القدماء، كما أَنَّه أَكْثَرَ في الجُودِ و الكَرَم، و ذلك بهدف التّأكيد على أنّ مملكة غرناطة – بني الأحمر– أصبحت قويّة منيعَةً.

---

[1]– نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب؛ الشّيخ أحمد بن محمّد المقري التلمساني. ت : د – إحسان عبّاس ،مج : 7، (د،ط) ، دَار صادر ، بيروت ، 1408 هـ– 1988م ، ص 240.

[2]– اِبن زمرك الغرناطي سيرته و أدبه؛ د– أحمد سليم الحمصي. (د.ت) ، مج:1، ط/1 ، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، 1985م ، ص 113.

[3]– نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزّمان؛ لإبن الأحمر الأمير إسماعيل بن يوسف بن محمّد. ت : محمّد رضوان الدّاية، (د.ط)، دار الثّقافة ، بيروت، لبنان ، 1965م ، ص 327 .

ثمّ تتَجلّى أعمال اِبن زمرك في اِزدهار الموشَّح و تَطويرُه ، ذلك من خلال شَكْلِه وبناءِه وكلُّ ما يشير إليه من معانٍ، حيث تَحَدّثِ الدّكتور إحسان عبّاس عن موشّحات عهد بني الأحمر، قوله: "كثُر الميْل إلى الموشّح المنظوم على الأوزان الشّعرية المألوفة، حتّى أنّ جُلّ ما عرَفَه المقرِي من مُوشّحَات اِبن زمرك لِيَنْخَرِط في سِلْك المعْرَب إذ أكثرُه من مُخَلَّع[1] البسيط"[2]، يتّفق قوله مع مُوشّحات اِبن زمرك الغرناطي عكس باقي الموشّحات، فالبناء التّوشيحي عنده يتميّز بطول الموشّحة، حيث أنّهَا تَرَاوحت مَا بَيْن تِسْعة أبيَات في موشّحتين و خَمْسُ مُوَشَّحات مركّبة من سبعة أبيات توشيحيّة، أمّا باقي الموشّحات فتتركّب من خَمْسَة أبيات، ويدُلُّ التّطويل في موشّحاته على كثرة إنتاجِه التّوشيحي، وحالته النّفسيّة أو الشّعورّية تَنِمُّ عن صدقه ممّا دفَعَهُ إلى التّطويل في الموشّحة، و هذا ما نجده في بعض موشّحات السّابقة[3] ، عند لسان الدّين ابن الخطيب،"و يَتَأَلَّف الموشّح في الغَالِب من مطلع وخمسة أَبْيات"[4] .

وجَعَل بعض الباحثِين السّابقِين ميزة الطُّول تشمل كثيرا من موشَّحات العَصْر، ممّا أدّى إلى اِختلافها عن باقي الموشّحات بسبب خُرُوجها عن تقَاليد الموشّح وخصَائصه و صفاته[5] ، وهذا الحديث كان مجرَّد تَعْمِيم فقط ،حَيْثُ أنّ الموشّحات الطّويلة لا تُمَثِّل الأكثرية و الغالبيّة من موشّحات العصر الأندلسي فمُعظَمُها كان موجودا وشائِعًا بكثرة عند اِبن زمرك.

[1]- المخلّع من الشّعر : مَفْعُولن في الضَّرْب السَّادِس منَ البَسِيط مُشْتَقٌّ منه ، سمِّيَ بذلك لأنَّه خُلِعَتْ أوتاده في ضَرْبه وعَرُوضه، لأنّ أصله مستفعلن مستفعلن في العروض و الضّرْب.

[2]-تاريخ الأدب العربي عصر الطّوائف والمرابطين؛ د-إحسان عبّاس. (د.ت)، ط/7، دَار الثّقافة، بيروت، 1962م، ص 251.

[3]- الإحاطة في أخبار غرناطة؛ لسان الدّين ابن الخطيب. ت :محمّد عبد الله عنان، مج: 2 ، ط/1 ، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1394هـ - 1974م ، ص 200

[4]- أصول التّوشيح؛ د- مصطفى غازي. (د.ت) ، ط/1، مؤسّسة الثّقافة الجامعيّة ، 1976 م ، ص 11.

[5]- ابن زمرك الغرناطي سيرته و أدبه؛ د- أحمد سليم الحمصي. (د.ت) ، مج :1 ، ط/1، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، 1985م ، ص 128.

ويشبه بناء الموشّحة عند ابن زمرك الشّعر العمودي من حيث أساليبها ومضَامِنيها دُونَ أنْ نَنْسَى مَا رَبَطَهُ بِوَاقع الأندلس، و الشّوق و الحنين إلى غرناطة، مع المحافظة على شكل الموشّح الأصليّ الّذي يُشير فيه إلى عناصر ثلاثة (الخمر و الطّبيعة و المرأة) ، أمَّا لغة اِبن زمرك فَكَانتْ بسيطة تميّزت بالملائمة بين اللّفظ والمعنى وجُمْلة موشّحاته نُظِّمَتْ على شكل إيقاعيّ موسيقيّ يَتَنَاسَب مَعَ موْضُوعاته، كما تَظْهر قدرته في التّصوير الفنّي الجَميل و كَثْرَة اِستخدَمِه للبَحْر الكـامِل و الطّويل و البسيط، واِستعماله للقوافي بِكُلّ إتْقان و بَرَاعَةٍ ،فَهُوَ لم يَعْمَل عَلى تَصْنيفها ضمن الجَانب الموسيقي والإيقاعي فقط ، بل جَعَلَها تشمل أيضًا، الجانب العَاطفي والنّفسِي، كَمَا قَامَ بتكرار بعض الجُمَل و التّراكيب و العبارات الّذي يُعْتَبَر سِمَةً لغويّة في موشّحاته ، و قد عَارَض بعض الوشّاحين الأندلسيين، بأربع موشّحات[1]، وذلك دليل على مدى قدرته اللّغويـة وتَفَوّقـه، و فصاحة كَلاَمِه و شِدَّة إبداعه ، وكثرة رصيده الشّعري.

ويتّضح من خلال ما سبق أنّ اِبن زمرك، اهْتَمَّ كثيرًا بتطْوِير مُوشّحاته من حيث شَكْلِها، بِفَضْل ذَوْقه و بَرَاعَته و قُدْرته الفَنِيّة وقُوَّة إنتاجه الشّعري إضافة إلى أنّ حالته النّفسيّة ومزَاجه هو ما دَفَعَهُ إلى نَظْمِ مُوَشّحات تتفاوت من حيث الطُّول و الأغراض

[1]- ابن زمرك الغرناطي سيرته و أدبه؛ د- أحمد سليم الحمصي. (د.ت) ، مج : 1 ، ط/1 ،مؤسّسة الرّسالة، بيروت، 1985م، ص 127.

الفصل الثاني

لسانيات الموشّح شكلا عند محمد ابن زمرك.

أولا: المعجم اللساني للموشّح عند ابن زمرك.

1-البنية التّركيبية للجملة في الموشّحات.

1.1- الحروف.

2.1- أنواع الجمل.

3.1- التّقديم و التّأخير و أثره في الجمل.

4.1- المصدر.

ثانيا: الصّورة الفنّية للموشّح عند اِبن زمرك.

1-الموسيقى الدّاخلية.

1.1- العاطفة.

2-الموسيقى الخارجية.

1.2- البحور

2.2- الخيال

3.2- الألوان

4.2- الرّمز

أوّلا: المعجم اللّساني للموشّح عند اِبن زمرك.

1- البنية التّركيبية للجملة في الموشحات:

اِهتم اِبن زمرك كثيرا بالتّراكيب اللّغوية المختلفة و المتعدّدة في موشّحاته و ذلك لدورها الكبير في تأدية المعنى، و تكوين النّتاج الأدبي، و من بين هذه التّراكيب:

1.1- الحروف:

تُعتبر الحروف من أهمّ أقسام الكلمة، و يقال لها الأدوات أيضا، و تتمثّل هذه الحروف في (حروف الجرّ و العطف، حروف الجزم و النّصب، وحرفي الإستفهام، و النّداء....)

وقد لجأ اِبن زمرك إلى اِستخدام مجموعة من هذه الحروف، من بينها حروف النّفي الّتي وردت قليلة في شعره، ممّا يعطي التّركيب نغمًا موسيقيًّا، و تجانسًا، ويكسبه روعةً وجمالاً، و يظهر ذلك في قوله[1].

كحَمْلي في الحبّ ما أَلْقَى بضُعف نفس وَاهيّهْ

ما أشْقَى مثْلي بلاَ ذَنْــب يُصْلَى بنَــارٍ حَاميَهْ

كَـــــفَاني أنّي مَا كَفَـــــــاني حَيٌّ عَلى حُكْم الغَـــــرام

واِستخدم كذلك من حروف الجزم الأداة "لم" التي تجزم الفعل المضارع، فقال:[2]

قَــدْ لُحْتَ منْ عالـم الغُيــُوب لم تَعْدَمْ الفوز و النّجـــــــاح

مَرَّاكِـشُ نُهْبة اِفْتِتَــاح والصُّنع في فَتْحِها جَليل

بُشْرَاك بالفتح و النَّجاح والشُّكْر في ذلك القَبيل

[1]- شعر وموشّحات الوزير اِبن زمرك الأندلسي؛ حمدان حجاجي،ص159.

[2]- شعر وموشّحات الوزير اِبن زمرك الأندلسي؛ حمدان حجاجي، ص149.

ولجأ اِبن زمرك إلى اِستعمال حروف العطف و الجرّ، الّتي لها وظائف كثيرة و متعدّدة داخل الموشّحة كالرّبط بين المعاني، و تحقيق التّناسق و الإنسجام بينها، والمحافظة على وحدة الأفكار، ويظهر ذلك في قوله:[1]

تَخْفِق منشورة البُنُـــود والسَّعْد يَقْدُمُ من أمـــام

و الأنْسُ مستجمع الُوفود واللُّطف مستعْذَبُ الجَمام

وأُكُوس الطّل مُتَرْعَـــــــات بِأَنْمُل السَّوْسَن النّـــــــدى

و الطّيْر مُفْتَنَّة اللّغـــــــات تَشْدُو بأصْوات مَعْبَـــــــدِ

يتبيّن لنا من خلال ما سبق أنّ حرف العطف قام بوظيفة دلاليّة و هي الرّبط بين المعاني، وتحقيق التّناسق بينها، و جعلها متتابعةً و متواليةً (و الأُنْسُ، و أُكُوسُ، و الطَّير) فالواو هنا هي أداة لها دور كبير في المحافظة على بنية الأبيات، و تحقيق رابط يَعْمَل على تناسقها و تَسَلْسُلها.

و في اِستخدامه لحروف الجرّ ،يقول:[2]

والزّهرُ في اليانع المجـود يقابل الشّرْب بابتسَـام

والرَّوْض في حلية الغُمُود قَدْ جَرَّدَ النَّهر عن حسام

مــولاي يــا أشْرف المُلُـــــوك وعَصْمــة الخَلْــق أجمَعـــــين

[1]-شعر وموشّحات الوزير اِبن زمرك الأندلسي؛ حمدان حجاجي. (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعيّة و المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1989م،ص153.

[2]-أزهار الرّياض في أخبار عياض؛ أحمد بن محمد المقري التّلمساني. ت: مصطفى السّقا و آخرون، ج:2، (د.ط)، مطبعة لجنة التّأليف و التّرجمة و النّشر، القاهرة، 1939م، ص200.

واِستخدم من المؤكّدات "إنّ" ومن أمثلة ذلك ،قوله:[1]

ولنـــا حـــــقُّ الهنـــــاء وجَـميـــع المســـلمـيـــن

إنَّ جَـــهَـــرْنا بالـــدُّعـــاء ينْطِـــقُ الدَّهـــر أمـــــين

دُمْتَ مَحْـروس المكارم بظُبى البيـض الصّوارم

و قلّل من اِستخدام حروف الشّرط في شعره، ومن أمثلة ذلك ،قوله:[2]

ركب المـولى مع الظَّهر الفـرس و شفـي و اِرتـــــــاح

بجنـود الله دأبـــاً يُحْتـــــرَس إن غَـــــــــــدا أو رَاح

وجبَ الشكر عليبا والهنا بَعْضَنا بَعْضـــــا

وعمد اِبن زمرك إلى تكرار مجموعة من الحروف، فقلّل من الأصوات القويّة، و أكْثر من الأصوات الضّعيفة الهادئة، فقال[3]:

مزَاجُها العَذْبُ سَلسَبيل يا هل إلى رشفها سبيل

وكيف والشَّيبُ لي عُذُول وصبغُهُ صُفرَة الأصـيل

يا سرْحـةً في الحُمَى ظليلـــــــــه كم نلْتُ في ظلّك المُـــــنى

يتضح لنا من خلال ما سبق أن شاعرنا لجأ إلى الإكثار من اِستخدام الأصوات الضّعيفة والهادئة في موشّحته، ممّا يعطيها نغمًا موسيقيًّا و لحنًا جميلاً و عذبًا، فاللاّم جاءت متكرّرة كثيرا، وبعدها الباء، ثم السّين و الصّاد ثمّ الشّين.

[1]- نفح الطّيب من غصن الأندلس الرطيب؛ أحمد بن محمّد المقري التّلمساني .ت: إحسان عبّاس، مج:7 ،د/ط ،دار صادر، بيروت، 1968م، ص244.

[2]-شعر وموشّحات الوزير اِبن زمرك الأندلسي؛ حمدان حجاجي،ص 150.

[3]- شعر وموشحات الوزير ابن زمرك الأندلسي؛ حمدان حجاجي،ص 145-146.

وقد نوّع في الحروف، فأخلط بين الحروف الصّفيرية وغيرها من صفات، وذلك ما جاء في قوله:[1]

لو أنَّ من يَفْهَم عنها الكَلَام فهـي تُهَنّيك هناء الأديب

و نهرُه قد سُلَّ مـنه الحُسَـام يَلْحظهُ النَّرْجَس لحظ المريب

فأجْـمـَلَ الأيَّام عصر الشَّبـــــاب و أجْمل الأَجْمَل يَـوْم اللَّقـــــــا

يَا دُرَّةَ القـَصْـرِ و شَمْس القِبـــَاب و هازمَ الأحـــزَاب في المُلْتقـــــى

يظهر لنا من خلال ما تقدّم أنّ اِبن زمرك اِهتمّ بتكرار حرف بعينه في كلّ مقطعٍ ليُشير بتكراره على دلالة و معنى.

2.1- أنواع الجمل:

تأتي الجمل في اللّغة العربية إمّا إسميّة أو فعليّة، و لكلّ نوع من هذه الجمل أهميّتها حسب الإستعمال.

و قد أكْثر اِبن زمرك من اِستعمال الجمل الإسميّة، و قلّل من اِستعمال الجمل الفعليّة، ومن أمثلة الجمل الإسمية المتتاليّة ،قوله في إحدى موشّحاته[2]:

فالنّصر و السَّعد لا يَزُول لأَنّـه ثابـت أصـــيل

سَعْدٌ و أَنْصَاره قبيـــل آبَـاؤه عتْرَةُ الرَّسـول

أبْدى به حكـمة القَديـــــــر و تَـوَّج الـرَّوْض بالقِبَـــابْ

[1]-شعر وموشّحات الوزير اِبن زمرك الأندلسي؛ حمدان حجاجي،ص 153.

[2]- شعر وموشّحات الوزير اِبن زمرك الأندلسيّ؛ حمدان حجاجي،ص 145.

و يقول أيضًا في التغّزل بجمال حبيبته الّذي أَدْهَشَ كلُّ من رآه:[1]

يا نُوق بشْرَى بِكلّ قَصْدٍ قَدْ كان في هذه الخيام

بدر تمام رشيق قَـــــدٍّ لِقاؤه يُذْهبُ السّقــام

يا سَعْد كــلُّ الأمُــور هانـــــــت فَـدَعْ مَــطاَيــاك تَسْتريـــــح

ثم يمدح الغنيّ بالله قائلا:[2]

وأشيعُوا في العَوَالم الغنيُّ بالله سَــالم

أيُّ نـــور يتَـوقّـــــــدْ أيُّ بَـــدْرٍ يتـــــــلألأ

أيُّ فَــخْرٍ يتــخَلَّـــــــدْ أيُّ غَيْــثٍ يتَـــــــوَالى

يظهر لنا من خلال مـــا سبق أنّ اِبن زمرك كرّر أداة الإستفهام (أيُّ) في الجملـــة الإسميـــة، وذلك بهدف بيان منزلة الممدوح و عظمته و شأنه، كما نلاحظ أنّ شاعرنا اِجتهد في توظيف الجمل الإسمية متتابعةً، فذلك التّتابع أحْدث نَغماً موسيقيًّا، ممّا زاد موشّحاته روعةً و جمالاً.

وأكثَر اِبن زمرك كذلك من اِستعمال الجملة الإسميّة المنفيّة ب "ما" و "إلاَّ"، فيقول:[3]

اليـوْم عَـذْب الشّمايـــــــــل و النَّــهر بــين الخَمائـــــل

مثـل الحُــسـام الصَّقيـــــــــل ما بـــين خُضْـــرِ الحمائـــل

ما الحَسن إلاَّ لوصف الطَّلب إلى خَدن الزّوار....

[1]- شعر و موشّحات الوزير اِبن زمرك الأندلسيّ؛ حمدان حجاجي،ص160.

[2]- شعر و موشّحات الوزير اِبن زمرك الأندلسيّ؛ حمدان حجاجي،ص158.

[3]- شعر و موشّحات الوزير ابن زمرك الأندلسيّ؛ حمدان حجاجي،ص161.

و لجأ إلى اِستخدام إسم الفاعل في الجملة الإسميّة، في قوله:[1]

و الحبّ ذو عُدوان يجهد في ظُلم البري

و صارم الأجْفـان مؤيَّدٌ بالحَـــــوَر

رُحْماك في صَـــــــــــبٍّ أذَكَرْتَه عهد الصَّـــــــبا

وإسم المفعول، في قوله:[2]

و الحليُ زَهْرٌ له انْتِظَامُ يُكلِّل القُضْبَ بالدُّرَر

قدْ راق من ثغْرِهِ اِنتظامُ و الوَرْدُ في خدِّها خَفَر

إنْ قيل من بَعْلِها المُفـــــــدّى و من له وصْلُها مُبـــــــاح

و اِستعمل الصّفة المشبّهة أيضًا، في قوله[3]:

نسيمُ غرناطة عليلُ لكنّه يُبرئ العليل

وروضَها زاهر بليلُ ورشفه ينقع الخليل

سقـــى بنجدٍ رُبا المصـــلّى مباكرًا روضـــها الغُمـــام

يتّضح من خلال ما سبق أنّ اِبن زمرك، اِستخدم الصّفة المشبّهة (عَليلُ) في سياق اِستخدامه للجناس الّتي جاءت بمعنى الهواء الخفيف على النّفس، أمّا كلمة (العَليلُ) الثّانية، فهي تحمل معنى الإنسان الّذي أصابه المرض، و قد أكثر من اِستعمال إسم الفاعل، وإسم المفعول، في شعره، ممّا أحدث إيقاعًا موسيقيًّا ظاهرًا.

[1]- شعر و موشّحات الوزير اِبن زمرك الأندلسيّ؛ حمدان حجاجي. (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعيّة و المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1989م،ص140.

[2]- شعر و موشّحات الوزير اِبن زمرك الأندلسيّ؛ حمدان حجاجي. (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعيّة و المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1989م،ص151.

[3]- شعر و موشّحات الوزير اِبن زمرك الأندلسيّ؛ حمدان حجاجي. (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعيّة و المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1989م،ص145.

و من أمثلة الجملة الفعليّة، قوله أيضا:[1]

فقل لها في المسير جُدي و كابري السّير و القيام

و عن لذيذ المنام صُدَّى فطالب الوَصْل لا ينام

حنّت مطايا الشّرق وجـــــــدت نحو المصلاّ تشوُّقـــــــــا

و سارعت عندما تبـــــــــدّت لها خيام على النّقـــــــــا

و هرولت فرحةً و مـــــــــدّتْ أعناقها تطلبُ اللّقـــــــــا

و اِستعمل كذلك الجملة الفعليّة التي تحمل الفعل المضارع، و ذلك ما جاء في قوله:[2]

فَأيْقـظِ الَّنـدْمَـان تُبْصِـر مـَا لَمْ يُبْصَرْ

جَـواهر الشُّهــبان قدْ عُرِضَتْ لِلُمشْتَرِي

قَـدحْـت لـِي زنْـــــدا يا أيُّـهَا البَـــــــــارق

كما لجأ إلى اِستعمال فعل الأمر في الجملة الفعليّة، و يظهر ذلك في قوله:[3]

و أَدْمُعُ السُّحْب في اِنسياح في كُلِّ روضٍ لها سَبيــل

و الجَـوُّ مُسْتَبْشر النَّــواحي يَلعبُ بالصَّارم الصَّقيـل

قُــمْ فاِغْتَنِـم بَهْجَة النُّــفـُـــوس مَا بَيْنَ نَــوْرٍ و بَيْنَ نُـــــــورٍ

[1]-شعر و موشّحات الوزير ابن زمرك الأندلسيّ؛ حمدان حجاجي. (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعيّة و المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1989م،ص160

[2]- شعر و موشّحات الوزير اِبن زمرك الأندلسيّ؛ حمدان حجاجي، (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعيّة و المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1989م،ص139.

[3]- شعر و موشّحات الوزير اِبن زمرك الأندلسيّ؛ حمدان حجاجي، (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعيّة و المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1989م،ص148.

و يقول أيضا:[1]

أيقظ مَنْ كَان ذا مَنام لمـّا اِنْجَلَى لَيْلَهُ البَهيـم

و أَرْسَل الدَّمْعَ كالغمام في كُل وادٍ بـه أهِيـم

يَا جيرَةً عَهْـدُهم كريـــــــمُ و فِعْلُهم كُـلُّـه جَميـــــلُ

لقدْ اِستخدم اِبن زمرك الفعل في جملـة الفعليّة في أزمنته الثّلاث (المـاضي و المضـارع والأمر)، ممّا أعطى الجمل نوعاً من الحيويّة في الشّعر أكثر من الجمل الإسميّة الدّالة على الثّبات. وتأتي الجملة الفعليّة عند اِبن زمرك مؤكّدة ب " قدْ" و اللاّم و القسم"[2]، و من أمثلة ذلك قوله:[3]

و رَاجع النَّهْرَ غنَاء الحَمـام و قدْ شَّدَتْ تَسْجَعُ سَجْعَ الخطيب

بِمَنْبَر الغُصْن الرَّشيـق القـوام لما اِنْثَنى يَهْفُو بقدٍّ رَطيـــــب

يَـا حَبَّـــدا مَبـــناك فَـخْـرُ القُـصُـور بِدَوحِـــه طالتَ بُروج السِّمـــــــــا

يتبيّن من خلال ما سبق أنّ التوّكيد ب "قدْ" ورد كثيرًا في شعر اِبن زمرك، و هي هنا جاءت مؤكّدة للفعل الماضي لتفيد التّحقيق.

3.1- التّقديم و التّأخير و أثره في الجمل:

تلتزم الجملة في اللّغة العربيّة نظامًا ترتيبيًا معينًّا، حيث يُقدّم المبتدأ على الخبر في الجملة الإسميّة، أمّا في الجملة الفعليّة فيأتي الفعل، ثمّ الفاعل، و ما يتبعهما لكن أحيانًا يحدث خلل في هذا التّرتيب، يقول عبد القادر الجرجاني عن التّقديم و التّأخير «هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التّصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفْتر لك عن بديعة، ويفضي بك لطيفة، و لا يزال ترى شعرًا يروقك

[1]- شعر و موشّحات الوزير اِبن زمرك الأندلسيّ؛ حمدان حجاجي. (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعيّة، و المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1989م،ص146.

[2]-قضايا الشّكل و المضمون في الموشّح الأندلسي في عهد بني الأحمر؛ أحمد اِبن عيضة الثّقفي، رسالة دكتوراه، كليّة اللّغة العربيّة، جامعة أمّ القرى، 2006م، ص505.

[3]- شعر و موشحات الوزير اِبن زمرك الأندلسي؛ حمدان حجاجي. (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعيّة، و المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1989م،ص152.

مسمعه، و يلطف لديك موقعه، ثمّ تنظر فتجد سبب أن راقك و لطف عندك، أن قدّم فيه شيء، وحوّل اللّفظ عن مكان إلى مكان».[1]

و اِختلفت أغراض التّقديم و التّأخير، و قد يكون ذلك بهدف التّخصيص أو القصر.

و من أمثلة التّقديم و التّأخير، تقديم الجارّ و المجرور لإثبات صفة أو للدّعاء، كقول اِبن زمرك يصف ممدوحه بالحسن[2]:

لـك وَجْـهٌ من صباح مُقْتَبـس بشْـــــرُه و ضـّـــاح
و جَـميل الصَّفْـح منه مُلْتَمَـــس مُنْعِـــمٌ صَفَّـــــاح
هاكَها تُمْزَجُ لُطْفًا بالنَّسِيم كُـلَّـمَـا هَبَّـا

و من التّقديم عنده كذلك، تقديم المفعول به الّذي هو "الرَّوض" على الفاعل "مسكيٌّ" للإهتمام فيقول:[3]

في كُئوسِ الثّغْر من خَمْر اللّعـــس راحـــــــةُ الأَرْواح
و تَغَّشَى الرَّوْضَ مِسْكيٌّ الَّنفـــس عـــاطـــر الأرواح
قد كَسَا الأرْواح و شْيًا مُذَهَّبًـا يُبْهِـرُ الشَّمْـسَ

فنلاحظ من خلال ما تقدّم أنّ اِبن زمرك لجأ كثيرا إلى اِستخدام ظاهرة التّقديم و التّأخير لما لها من أثر موسيقيّ، و ذلك مراعاةً للوزن و القافيّة، حتى لا يختلّ نظام الموشّحة.

[1]- دلائل الإعجاز؛ عبد القادر الجرجاني.ت: محمود محمّد شاكر، ط/3، مطبعة المدني، القاهرة ،1992م، ص106.

[2]- شعر وموشّحات الوزير اِبن زمرك الأندلسيّ؛ حمدان حجاجي. (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعيّة، و المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1989م،ص150.

[3]-شعر و موشّحات الوزير اِبن زمرك الأندلسيّ؛ حمدان حجاجي،ص149.

4.1- المصدر:

يُقصد بالمصدر هو الإسم الّذي تصدُر عنه الأفعال و المشتقّات، و هو اللّفظ الدّال على حدث، مجرّد من الزّمان متضمّنًا أحرف الفعل، و يعمل عمل الفعل في كلّ أحواله، فإذا كان الفعل لازمًا يحتاج المصدر إلى فاعل فقط، أمّا إذا كان الفعل متعدّيًا فيحتاج المصدر إلى فاعل و مفعول به[1].

وقد أكثر اِبن زمرك من اِستعمال المصدر في شعره، من أمثلة ذلك ما جاء في قوله:[2]

قـد حَان من رَكْبِ التَّصَابي إيّاب ورَائدُ الرُّشْد أطَـال الــمغيب

يا أكْمَهُ القلب بعين الحِــجَــاب كـم ذَا أناديك فلا تَستجيب

هــل يُحْمَل الــزَّادُ لـدَار الكَريـــــــــم والمصطـفى الهـادي شفيـع مُطَـــاعُ

نلاحظ من خلال ما تقدّم أن المصدر (شَفيع)، جاء على وزن فَعيلْ، فهو مشتقّ من الفعل الثّلاثي (شَفَعَ) على وزن فَعَلَ ، أمّا المصدر الثّاني (مُطاَعُ) يبدأ بميم زائدة، و جاء على وزن فُعَالُ، وهو اسم يدلّ على حدث مجرّد من الزّمان، مشتقٌّ من الفعل الثّلاثي المعتلّ (طاَعَ) على وزن فَعْلَ.

و قوله أيضا في موشّحة أخرى:[3]

أنـــــادي من جـــدَار أصـــدَاقك نِــداء مسلـــوب المـنـــــام

و أَلهَف نَفْسي لقد شقا شُـقَّ البـُـرُود البــاليهْ

جُفُونك بالسِّحر يا حَبيبي قد أهْلَكت سلطانيهْ

و يظهر المصدر هنا في لفظة (مَسْلوب) فهو مصدرٌ ميميٌّ جاء على وزن (مَفْعُولْ).

---

[1]- تصريف الأفعال و المصادر و المشتقّات؛ د- صالح سليم الفاخري، د/ط، عصمي للنّشر والتّوزيع، القاهرة، 1996م، ص171.

[2]- شعر و موشّحات الوزير اِبن زمرك الأندلسيّ؛ حمدان حجاجي. (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعيّة، و المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1989م،ص156.

[3]- شعر وموشّحات الوزير اِبن زمرك الأندلسيّ؛ حمدان حجاجي، ص160.

و لجأ إلى اِستخدام مصدر الثّلاثي المزيد بحرف في شعره، و يظهر ذلك في قوله[1]:

في طالِع اليُمْن و السّعود قد كَمُلَتْ راحةُ الإِمَـام

فأشرَق النُّور في الوجــود وابْتَسَم الزَّهْرُ في الكَمام

قــد طَلَــعَتْ رَايَــةُ النّــجــاح وانْهَــزَمَ البَــأْسُ و العــــنا

و قــال حــــيٌّ عــــلى الفــلاح مُــــؤذّن الفَـوْز بالـمُـــــــنَى

فالمصدر الميميُّ يظهر في لفظه (مُؤذِّنُ) الّتي جاءت على وزن (مُفعِّلُ)، فهو مشتقٌّ من الفعل الثلاثي المزيد على وزن (فَعَّلَ).

نلاحظ من خلال ما تقدّم أنّ اِبن زمرك أكثر من اِستخدام الحروف و المصادر بشكل واضح في شعره، كما لجأ إلى التّقديم و التّأخير في الجمل بنوعيها، فأكثر من اِستعمال الجمل الإسميّة، و قللّ من اِستعمال الجمل الفعليّة، حيث تتميّز كل جملة بخصائص تكسبها حيويّةً و جمالاً في التّركيب.

[1]- شعر وموشّحات الوزير اِبن زمرك الأندلسيّ؛ حمدان حجاجي.(د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعيّة، و المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1989م،ص153.

ثانيا: الصّورة الفنّية للموشَّح عند اِبن زمرك.

تُعتبر الصّورة الفنّية من أهمّ و أبرز الأدوات الّتي اِستخدمها اِبن زمرك في نظم موشّحاته، وتجسيد أحاسيسه ومشاعره، والتّعبير عن أفكاره و معانيه.

1-الموسيقى الدّاخليّة:

1.1- العاطفة:

تتمثّل قيمة الشّاعر في الأساس في التّعبير عن عواطفه و أحاسيسه و مشاعره، مع رصد كلّ ما يؤثّر فيها من عوامل معنويّة و ماديّة و شموليّة[1]، وورد هذا في شعر اِبن زمرك، الّذي يحمل ألفاظ الحزن و الألم، فألفاظه و معانيه و تعابيره كلّها تعبّر عن العذاب و المعاناة، و الأوجاع الّتي عاشها في حياته، و تُبيّن لنا شدّة الحبّ و الشّوق، و التّحسُّر، و الحزن في كلّ الأوقات و المواقف الّتي مرّ بها، و الشّاعر الأندلسيّ من طبيعته رقيق الشّعور و الحسّ، يعيش واقعه، ويتأثّر به، فجاء تأثيره على شكل عبارات موسيقيّة مصحوبة بمشاعر وجدانه، وحركات عواطفه و اِنفعالاته[2].

فمن الجوانب الّتي وضّح فيها اِبن زمرك حزنه و معاناته، تذكّره للذّنوب و المعاصي الّتي اِرتكبها و قام بها في حياته، فهو يريد مسح هذه الذّنوب، و نيل رضى الله تعالى، و طلب شفاعة الرّسول صلّى الله عليه و سلّم فيقول:[3]

عسى شَفيع النّاس يوم الحساب ... وملجأ الخَلق لِدَفْعِ الكروب

يَلْحَقُني منه قبولٌ مُـجَـــــاب ... يشفعُ لي في مُوبقات الذُّنوب

يــا مصطفى و الخَلْقُ رَهْـنُ العَـــــدَم ... والكَـون لم يفْتَـــق كِمـامَ الوجـــودَ

---

[1]- العمدة في محاسن الشّعر و آدابه و نقده؛ اِبن رشيق القيرواني. ت: محمّد محي الدّين، ج:1،ط/5، دار الجيل للنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، 1401هـ- 1981م، ص294-295.

[2]-باعث العاطفة في حقول التراجيديّا في الشّعر الأندلسيّ؛ أمل صالح رحمة، مجلّة البحوث التّربويّة، و النّفسيّة، العدد 17،ص108.

[3]-شعر وموشّحات الوزير اِبن زمرك الأندلسيّ؛ حمدان حجاجي.(د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعيّة، و المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1989م،ص156.

يتّضح من خلال ما سبق أنّ اِبن زمرك يرى أنّ شفاعة الرّسول صلّى الله عليه و سلّم، هي أمله الأخير يوم الحساب و العقاب، فبدونها يكون من المذنبين الّذين لم يُطيعوا الله سبحانه وتعالى واِرتكبوا الذُّنوب و المعاصي،و تغافلوا عن دينهم، وعن الأركان الإسلامية، فالألفاظ المستعملة في الأبيات دالّة على الخوف الشّديد من يوم القيّامة، و من العقاب الّذي يناله كلّ إنسان عندما يقترف الذّنوب، ويُسيء معاملة أخيه المسلم.

أمّا الألفاظ الّتي اِستخدمها في موشّحات الغزل، فقد تميّزت بالرّقة و اللّيونة، والفصاحة لأنّ موضوع الغزل يتطلّب السّهولة و العذوبة، حيث اِشترط النّقد في الغزل "أن يكون حلو الألفاظ رسلها، قريب المعاني سهْلها، غير كزٍّ و لا غامض، و أن يختار له من الكلام ما كان ظاهر المعنى، ليّن الإيثار، شفاف الجوهر"[1].

لجأ اِبن زمرك إلى وضع ألفاظ مناسبة و ملائمة، أثناء التّعبير عن الحبّ و العشق، و الغرام فبيّنت لنا وضعه النّفسي، و اِنهزامه أمام محبوبته، فيقول:[2]

فَعَذَّب القَلْبُ بالوجيبْ و نَعَّـــمَ العيْن بالنَّـــظر

وبَاتَ و الدَّمْعُ في صَبيبْ يقــدح من قلبــه الشَّرر

أَوَّاهُ مــنْ قلبـــي الـــمُعَنَّـــــــــــى يَهْـفــو إذا هَبَّـــتِ الرّيـــــــاح

يتّضح لنا من خلال ما تقدّم أنّ اِبن زمرك وظَّف ألفاظًا، تدلّ على اِنشغال باله، وحزنه وتألّمه، وضيق صدره، الّذي لا يسمح له بأنْ يُغمض عينيه، و يتذوّق راحة النّوم، فيبقى ساهرًا طوال اللّيل، متشائمًا و حزينًا.

بناءًا على ما تقدّم نلاحظ أنّ لغة و ألفاظ اِبن زمــرك تميّزت بالدّقــة و الوضوح و السّهولة، و جاءت متناسبة مع الموضوع الّذي يتناوله في موشّحاته.

---

[1]- العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده؛ اِبن رشيق القيروانيّ. ت: محمّد محي الدّين، ج:1،ط/5، دار الجيل للنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، 1401هـ- 1981م، ص116.

[2]- شعر وموشّحات الوزير اِبن زمرك الأندلسيّ؛ حمدان حجاجي.(د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعيّة، و المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1989م،ص143.

2- الموسيقى الخارجيّة:

1.2- البحور:

الوزن ركن أساسيّ من الأركان الأساسيّة في الشّعر العربيّ، و يُعرف بأنّه مجموع التّفعيلات الّتي يتكوّن منها البيت الشّعري[1]، و يُعتبر من أهمّ ركائز الشّعر له سمات صوتيّة، و نغمات موسيقيّة مؤثّرة[2].

اِختار اِبن زمرك بحورًا عديدةً و متنوّعةً، و عدّها محور موشّحاته، و جاء مُعظم شعره على ثلاثة أوزان، هي الكامل، و الطّويل و البسيط، و بلغت نسبة الكـــامل 42%، والطّـويل 44%، و البسيط 10% و البقيّة من أشعاره البالغة 3%، جاءت على بقيّة البحور[3].

ونجد شاعرنا يلجأ إلى اِستخدام وزنًا طويلًا،كثير المقاطع يُفرغ فيه ما بداخله من همٍّ و غمٍّ[4] عندما يكون في حالة الحزن و الألم، و من أمثلة ذلك قوله:[5]

أَذُوقُ الهَوَى مُـــرَّ المطاعم عَلْقَمـــا وأَذْكُرُ مُـــزْجيَّ الهـوى فَيـطيـــــب

تَحِنُّ وتَصْبُو كلّ عين لحُسنه كأنّ عــيون النّاس فيه قلــوب

وموسى والكفران للّه قاتلي وموسى لقتلي كيف كان حبيب

يتّضح من خلال ما سبق أنّ اِبن زمرك اِستخدم البحر الطّويل في موشّحته فجاءت عروضه مقبوضةً على وزن (مَفَاعلُنْ) أي أصابها زحاف القبض (و هو حذف الحرف الخامس السّاكن)

---

[1]- النّقد الأدبيّ الحديث؛ محمّد غنيمي هلال. (د.ت)، د/ط، دار النّهضة، القاهرة، مصر، 1980، ص436.

[2]- قضيّة الشّعر الجديد؛ محمّد النّويهي. (د.ت)، د/ط، المطبعة العالميّة، القاهرة، مصر، 1964م،ص28.

[3]-لجامع في العروض و القوافي؛ محمّد العروضي. ت: زهير غازي، ط/1، عصمي للنّشر والتّوزيع القاهرة، 1996، م ص123-124.

[4]- موسيقى الشّعر؛ إبراهيم أنيس. (د.ت) ، ط/5، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة،1978م، ص177.

[5]-شعر و موشّحات الوزير اِبن زمرك الأندلسيّ؛ حمدان حجاجي. (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعيّة، و المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1989م،ص162

وجاء ضربه محذوف على وزن (فَعُولُنْ)،أي أصابته علّة الحذف[1]،(مَفَاعيلُنْ←مَفَاعي← فَعُولُنْ) أمّا (فَعُولُنْ) فقد أصابها زحـــاف القبض فأصْبحت (فَعُولُ) فلا يوجد خلل موسيقيّ فـي الموشّـح ولكن يوجد تنْويع، واِختلاف في نغمات الموسيقى بداخله.

أمّا الوزن الثّاني هو البحر الكامل، الّذي تميّز بمكانة مرموقةٍ، و فيه لون خاصّ من الموسيقى وعدّه اِبن زمرك بمثابة الصّديق الحميم، الّذي يُعبّر له عن مشاعره و أحاسيسه، و تناول فيه جميع الأغراض، ذلك لأنّه أقرب إلى الرّقة و العذوبة، فيقول:[2]

خليقة الله و نِعْمَ الإمـــام أتَحْفك الدَّهْر بصُنْع عجيب

يُهنّيكَ شَمْلٌ قد غدا في اِلتئام مُمَهّدُ في ظلّ عيشٍ خَصيب

نواســـم الـوادي بـــمِسْكٍ تفـــــوح ونفْحـــة النَّـــدِ بـه تـعْبَـــــق

يظهر لنا من خلال ما سبق أنّ اِبن زمرك مزج بين مجزوء بحر الكامل و تفعيلة واحدة من بحر السّريع، فصارت تفعيلات الشَّطر (مَفَاعلُنْ مُفْتَعِلُنْ فَاعِلاَنْ) فالتّفعيلة الأولى أصابها زحاف الوقْص (وهو حذف الثّاني المتحرّك)، فتحوّلت من مُتفَاعلُنْ إلى مَفَاعلُنْ، أمّا التّفعيلة الثّانية لحقها زحَافُ الخزْل و هو مركّب من الإضمار[3] و الطيّ[4]، فتحوّلت إلى مُفْتَعِلُنْ [مَتَفاعِلُنْ←مُتْفَاعِلُنْ (الإضمار) ←مُتْفَعِلُنْ (الطَيّ) = مُفْتَعِلُنْ]، والتّفعيلة الثّالثة أصابها زحافُ الطَيّ و علّة الوقْف[5] فتحوّلت إلى فَاعلَانْ (مَفْعُولاَتُ← مَفْعُلاَتُ (الطَيّ) ←مُفْعُلاَتْ (الوقْف)= فاعِلاَنْ.

[1]-شعر و موشّحات الوزير اِبن زمرك الأندلسيّ؛ حمدان حجاجي؛ (د.ط). ديوان المطبوعات الجامعيّة، و المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1989م،ص153.

[2]- الحذف:إسقاط سبب خفيف من آخر التّفعيلة.

[3]-الإضمار: تسكين الثّاني المتحرّك.

[4]-الطيّ: حذف الرّابع السّاكن.

[5]-الوقف: تسكين السّابع المتحرّك.

ويأتي البحر البسيط في المرتبة الثّالثة، و يُعتبر من أقرب البحور إلى البحر الطّويل لكن يتجاوزه في الرّقّة و العذوبة، و سُمّيَ بسيطًا لسهولته، و كثرة بساطته، فيقول:[1]

مَا للمَطَايــا لأمل نَجْدٍ إذا سَرتْ نَسمة الصَّباح

تَكَــادُ مِنْ لَيْعَة ووجْدٍ تسْري إليهم بلا زُمــام

قــد هَامَتْ النُّــوق في سُــرَاهــا شَــوقــًا إلى ساكــن الحــــما

يتّضح من خلال ما سبق أنّ اِبن زمرك لجأ إلى اِستخدام مُخَلَّع البسيط، و سُمّيَ بالمخَلَّع لأنّ زحاف (الخَبْن) لحق عروضَه و ضربَه فصار (فَعُولُنْ)، فعروض و ضرب هذا البحر جاء مقطوع ومخْبُون على وزن (فَعُولُنْ)، أي أصابته عِلّة القَطْع[2]، وزحاف الخَبْن[3]،(مُسْتفعلُنْ← مُسْتَفْعِلْ←مَفْعُولُنْ (القطع)←مَعُولُنْ (الخَبْن)= فَعوُلُنْ)، و التّفعيلة الثّانية فهي مجزوءة صحيحة، وزنها (فَاعِلُنْ).

أمَّا البُحُور الّتي جَاءَتْ قليلة في شعره هي بحـر السّريــع، و سُمّيَ سريعًا لسرعته في الــذَّوق و التّقطيع[4]، و هو من البحور الّتي تتميّز بالسّلاسة و العذوبة، فيقول:[5]

بَــليــلــة الأَرْدَان قَــدْ ضُمّخَتْ بالعنْبَر

يُشـير غُصْـن البــان منها بفَــضْل المِئْــزَر

طَــيَّــبَــهــا حَــمْــدْ فَــخْر الملــوك الــمُــجْتَــبــَى

---

[1]-شعر وموشّحات الوزير اِبن زمرك الأندلسيّ؛ حمدان حجاجي. (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعيّة، و المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1989م،ص160.

[2]-القطع: حذف ساكن الوتد المجموع مع تسكين ما قبله.

[3]-الخَبْن: حذف الحرف الثّاني السّاكن.

[4]-العروض الواضح و علم القافية؛ د. محمّد عليّ الهاشمي.ط/1، دار القلم، دمشق، 1412هـ- 1991م، ص 17.

[5]-شعر و موشحات الوزير اِبن زمرك الأندلسيّ؛ حمدان حجاجي،ص140.

نلاحظ من خلال ما تقدّم أنّ شاعرنا اِستخدم البحر السّريع في موشّحته، فجاءت عروضه مكسوفة و مشطورة، وزنها (مَفْعولُنْ) أي أصابها زحاف الكَسْف، فتحوّلت التّفعيلة من مَفْعُولاَتُ إلى مَفْعُولُنْ (مُفْعُولاَتُ ← مَفْعُولاَ= مَفْعُولُنْ)، أمّا التّفعيلة الثّانية (مُسْتَفْعِلُنْ)، فقد أصابها زحاف الخَبْن، فتحوّلت إلى مُتَفْعِلُنْ.

بناءاً على ما تقدّم، نلاحظ أنّ اِبن زمرك كان مُقلّدًا للمنهج الّذي سار عليه الباحثون القُدماء، فمن تكرار تفعيلة واحدة حاول تنويع نغمات الموسيقى من خلال اِستخدامه للزّحافات و العلل في البحور، و ذلك دليل على تفوّقه و قُدْرته العروضيّة و براعته فيها.

2.2- الخيال:

يُعتبر الخيال أحد عناصر التّصوير الفنّي، و هو في حقيقته ملكة فنّية مُبدعة، تأتي بالمعاني عن طريق الحسّ، و تُوظّفُها في شكل صور بديعيّة[1].

و يرى اِبن رشيق القيروانيّ ضرورة حضور و توفّر الخيال عند الشّاعر في توليد المعاني ونظم الشّعر، حيث قال:" فيُسَمّى شاعراً لأنّه يشْعر بما لا يشْعر به غيره، فإذا لمْ يكن عند الشّاعر توليد معنى إلى وجه عن وجه آخر، كان اسم الشّاعر مجازًا لا حقيقةً، ولم يكنّ إلاّ فضل الوزن"[2]، ووافقه قدامة بن جعفر في هذا الرّأي و الموقف فيقول:" بِنُبُل الفكر أو صِدْق المضمون بل بما يحتويه من صفة لأنّه، إنّما يحكم عليه بصورته، كما أنّ النّجار لا يُعاب صَنْعهِ برَداءة الخشب في ذاته، بل بصناعة فيه"[3].

---

[1]-في النّقد الأدبي؛ عبد العزيز عتيق. (د.ت)، دار النّهضة العربيّة للطّباعة و النّشر، بيروت، 1405هـ-1985م، ص119.

[2]-العمدة في محاسن الشّعر و آدابه و نقده؛ اِبن رشيق القيرواني. ت:محمّد محي الدّين، ج:1،ط/5، دار الجيل للنّشر و التّوزيع، بيروت، لبنان، 1401هـ-1981م، ص96.

[3]-نقد الشّعر؛ قدامة بن جعفر. ت: محمّد عبد المنعم خفاجي، (د.ط)، دار الكتب العلميّة، لبنان،1980م، ص66 .

فالخيال يُعدُّ عنصرًا أساسيًّا من عناصر تشكيل صورة الأدب، و له دور كبير في إثارة العاطفة، وجمع أجزاء الصّورة و القدرة على الرّبط بينها، و له وسائله الّتي تقوم به، وصوره البيـــانيّة من تشبيه، واِستعارة، وكناية[1].

لجـــأ اِبن زمرك إلى الخيـــال في وضوح الصّورة الشّعريـــة و توضيح الفكـــرة في شكلها الفنّي و تصويرها بدقّة و تمعّن، و بالغ بتعبيره عن الحقيقة، فعمد إلى اللّغة المجازيّة، و أبدع صورًا جميلة، ففي تصويره لمدينة غرناطة يبدو خياله رائعًا وجميلًا، حيث رسم لوحة فنّية حين شبّه مدينة غرناطة بالملكة .

فقال[2]:

بِدولة المـُرتجي المهيـــب المِلك الطّـاهر الأعـــزّ

تَختال منْ بردها القشيب[3] في حلّة النَّوْر و الزّهـــر

كرسيّهـــا جـــنّة الـعريـــــــف مرآتُها صفـــحـــة الغديـــــــــر

يتّضح من خلال ما سبق أنّ اِبن زمرك جعل مدينة غرناطة عروسة، و جنّة العريف الّتي هي مكان لتنزّه – بني الأحمر- كرسيًّا لها ككرسي الملكـــة أو العروســـة، أمّا المرآة الّتي تنظر إليها دائمًا، و كلّ ما يحيط بها من براكين و أنهار تعكس صورة غرناطة بجمالها الفاتن.

[1]-في النّقد الأدبي؛ عبد العزيز عتيق. (د.ت)، دار النّهضة العربيّة للطّباعة و النّشر، بيروت، 1405هـ-1985م،ص118.

[2]-شعر وموشّحات الوزير ابن زمرك الأندلسي؛ حمدان حجاجي. (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعيّة، و المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1989م، ص144.

[3]-القَشيبُ: قصر باليمن، و الجَديدُ، و الخَلَقُ، ضدٌّ، و الأبيضُ، و النّظيف.

و نجد اِبن زمرك يقول في وصف خيال محبوبته الّذي زاره في المنام:[1]

قَضـــيبُـــك الفيـْـنانْ يُسْـــقَى بدَمْعٍ هَمـــر

فَـلاَعِـجَ الأَشْـــجـــان فيْـض الـــدّمُـوع يُجْـري

هـــل في الهَـــوَى نَـــاصـــــــر أو هـــلْ يـــُجـــارُ الهـــائـــــــم

لَـــوْ كَـــان لـــي زائـــــــــر طَيْـــف الخَـــيَـــال الحَـــائـــــم

يظهر لنا من خلال ما سبق أنّ شاعرنا صوّر خيال محبوبته في أبيَـــاتِهِ في صورة فنيّة رائعـــة، و هي كناية عن جمال المحبوب.

وأكثر اِبن زمرك من اِستعمال الإستعارة في شعره، ليؤدّي المعنى على أكمل وجه، و منْحه صورةً جميلةً، من خلال مدح الغنيّ بالله قائلا:[2]

أصْبَحتَ تَزْهُو على الملاح بذلك الـــمنْظَر الجَـــميل

وَوَجْهُكَ الشَّمْس في اِتِّضاح لـــوْ أنَّها لـــم تكن تَمـــيل

مَـا الـــزَّهْـــر إلَّا بنَـــظُـــــــم دُرٍّ تَحْسُـــدُ في حُسْـــنه الـــعُـــقُـــود

نلاحظ من خلال ما سبق أنّ اِبن زمرك رسم صورة فنّية رائعة بخياله الواسع، حين شبّه وجه الشّمس بوجه الإنسان، فصرّح بالمشبّه (وجه الشّمس)، و حذف المشبّه به (وجه الإنسان)، و ترك قرينة لفظيّة تدلّ عليه، و هي(الوجه)، فالوجه يُراد به الإنسان بكامله، فكان نوع الإستعارة مكنيّة.

[1]-شعر وموشّحات الوزير اِبن زمرك الأندلسيّ؛ حمدان حجاجي. (د،ط)، ديوان المطبوعات الجامعيّة، و المؤسّسة الوطنيّة للكتاب الجزائر، 1989م، ص140.

[2]-شعر وموشّحات الوزير اِبن زمرك الأندلسيّ؛ حمدان حجاجي، ص148.

كما لجأ كذلك إلى اِستخدام المحسّنات البديعيّة كالجناس الّذي اِحْتَلَّ مساحة كبيرة في شعره، ويظهر ذلك في قوله[1]:

قَدْ نُظِم الشَّمْل أَتَّـــم، اِنْتظام وإِغْتَنَمَ الأَحْبَاب قُرب الحبيب

و اِسْتضحك الرّوض ثُغور الكمام عن مبسم الزّهر البُرود الشّنيب

و عمَّـــم النَّـــوْرُ رُؤُوس الـرِّبـــــــــــا و جَلَّل النُّـــورُ صُـــدُور البطـــــــاح

يتبّين لنا من خلال ما سبق أنّ اِبن زمرك جانس بخياله بين لفظة (النَّوْرُ)، الّتي تدلُّ على معنى الزَّهر الأبيض، وبين اللَّفظة الثانية (النُّورُ)، الّتي تحمل دلالات الضَّوء الّذي يُصدر من الشّمس، فيسمّى نوع هذا الجناس ناقص، لأنّ اللّفظتان اِتّفقتا في أنواع الحروف، و أعدادها، و ترتيبها، ولكن لم يتّفقا في الحركات.

و يظهر الطبّاق عند اِبن زمرك كذلك في وصف الخمر، قائلاً:[2]

ما بَيْنَ بَأْسَ و بَيْنَ جُودٍ قَدْ مَهَّدَ الأمـــن للأنـــام

فالدِّين و أعين رُقـــود و كـان لا يطعم المنـــام

و الكـــأس في راحـــة السّـــــقـــاة تـــروح طـــورًا و تَغْـــتـــــــدي

يتّضح لنا من خلال ما سبق أنّ شاعرنا يُصوّر لنا بخياله كأس الخمر، الّذي لا يتوقف عن الدّوران، بين الشّاربين في صورة فنّية رائعة، فطابق بين لفظة (تَرُوح)، ولفظة (تَغْتَدي)، فيُسمّى هذا الطّباق، طباق إيجاب.

بناءا على ما تقدّم يتّضح لنا أنّ الخيال عند اِبن زمرك له مكانة كبيرة، ودور أساسي خاصّة في بناء الصّورة الشّعريّة بناءًا جماليًّا، الّتي يرسمها من خلال الصّور البيانيّة المختلفة من تشبيه، واستعارة وكناية، و المحسّنات البديعيّة من جناسٍ، و طباقٍ لتوضيح دلالته و معانيه.

[1]-شعر وموشّحات الوزير اِبن زمرك الأندلسيّ؛ حمدان حجاجي. (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعيّة، و المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1989م، ص152.

[2]-شعر وموشّحات الوزير اِبن زمرك الأندلسيّ؛ حمدان حجاجي، ص154.

3.2- الألوان:

إن الألوان هي عبارة عن الصفة التي يحملها الجسم، والتي تميزه عن غيره من الأجسام الأخرى من نفس النوع، ويتمّ تعريف الألوان فيزيائياً بأنها ما تراه شبكية عيوننا من انعكاس الضوء عن أي جسم أو مادة صبغية ملوّنة لهذا الجسم، واِستخدامها في الشّعر كان موجودًا قديمًا، خاصّة في العصر الأندلسيّ.

أكثر اِبن زمرك من اِستعمال الألوان في شعره، حيث اِستخدم اللّون الأزرق في وصف الغدير، ليدلّ على نظافة مائه، و صفائه، و هدوئه، ممّا يزيد من حسنه و جماله، فيقول:[1]

القُـــرْبُ من رَبْعِكُمْ نَعِيـــــــم و بُعْـــدُكُم خَطْـــبُه جليـــــل

كم من رياضٍ به وسام يُزْهَى بها الرَّائد المُسيم

غديرها أزرق الجِمَــام و نَبْتُهَا كلّــه جَميـــم

و اِستخدم اللّون الأخضر في موشّحة أخرى، قائلا:[2]

رَيْحَانة الفَجْر قَـدْ أَطَّلتْ خضراء بالزُّهر تَزْهَـــرْ

و رَاية الصُّبْـح إذا أَظَلَّتْ في مَرْقب الشَّـــرقُ تُنْشَرُ

فالشُّـــــهبُ مـن غَــارة الصَّبـــــاح تـــرْعَد خَـــوْفًـــا و تَـــخْفِـــــق

يتّضح من خلال ما سبق أنّ اللّون الأخضر الّذي يدور حول الإطار الجمالي، يدّل على طيبة الحياة و راحة العيش، والنّشاط و الحيويّة، ممّا يزيد من جمال هذه الصّورة، و بهائها.

[1]-شعر وموشّحات الوزير اِبن زمرك الأندلسيّ؛ حمدان حجاجي، ص146.

[2]-شعر وموشّحات الوزير اِبن زمرك الأندلسيّ؛ حمدان حجاجي، ص141.

كما لجأ اِبن زمرك أيضًا إلى اِستخدام اللّون الأحمر، فقال:[1]

هَيْمُ القَلْب و بان العلم مَـــرد اللَّـــه الـــمرد

تَـــقْتُلُ العُشَّاق بالحـــمر الخُـــدُود والعـــذار السُّـــنْـــدُســـــي

وبِـــصَـــدْرك جَـــزَتْ رمّـــان النُّـــهود قامُـــوا تـــحت الأطـــلســـــي

رأينا من خلال ما سبق أنّ اللوّن الأحمر الّذي يتمثّل في اِحمرار الخدود يدلّ على الحبّ والأحاسيس و المشاعر القويّة.

و عمد إلى اِستخدام اللّون الأصفر كذلك، فقال[2]:

ما أجْمَلَ الرَّاحَ فوْق راح صفراء كالشَّمْس في الأصيل

تُغادر الصَّدْر ذا اِنشراح للأَنْـس في طيفـــه مقـــيل

و لا تَـــذَرْ خـــمرة الـــجُفـــــــون فَسَكْرُها فـي الـــهوى جـــنـــــــون

يظهَرُ لنَا من خِلال ما سبَقَ أنَّ اللَّون الأصفر الَّذي يتمثَّل في وصف شُرْبِ الخَمْرِ، و أَثَرُهُ في النَّفْسِ، فهو يرمُز إلى التَّعْبير عن مكْنون ما بداخله .

بناءا على ما سبق نلاحظ أنّ اِبن زمرك اِعتمد كثيرا على اِستخدام الألوان في موشّحاته، فكلّ لون وله دلالة معيّنة في تصويره الفنّي، حيث جاءت صوره سهلة و بسيطة، بعيدة عن التّعقيد، نبَعَتْ من الطّبيعة الأندلسيّة الخلّابة.

[1]-شعر وموشّحات الوزير اِبن زمرك الأندلسيّ؛ حمدان حجاجي، ص162.

[2]-شعر وموشّحات الوزير اِبن زمرك الأندلسيّ؛ حمدان حجاجي، ص148.

4.2- الرّمز:

عُرّف الرّمز بأنّه كلّ علامة يُؤتى بها لتذكّر بشيء كان قد اِرتبط بها في أذهان الشّعراء[1].

ولم يقتصر اِبن زمرك على اِستخدام الألوان فقط، بل لجأ إلى الإكثار من اِستخدام الرّموز كذلك،للتّعبير عن أفكاره، و عواطفه، و أحاسيسه، فجاء باسم "جميل" الّذي هو رمز الحبّ العذري، في قوله عن الحبّ:[2]

أبْدَعك الخالـقُ الجميل يا منظر كلُّـــه جمـــيل

قلبـي إلى حُسْنه يَميـل و قَبْلَنَا قد صبـا جمـيل

و زَاده الـحسْـن فيـك حُـسْـنَـا مُحَـمَّـدٌ الحَـمْـدُ و السَّمـــاح

و يقول أيضا:[3]

و الأُنْسُ مُسْتَجمع الوفـود و اللُّطف مُسْتَعْذَبُ الجمَام

و أُكـوس الطّـــل مُتَرْعَـــات بأنْـمـُل السَّوْسَـن النَّـــدى

و الـطَّيْـرُ مفْـتـَنَّةُ اللُّـغـــات تَشْـدو بـأصوات مَعْبَـــدِ

يتّضح لنا من خلال ما سبق أنّ اِبن زمرك، جاء بلفظة " مَعْبَدِ"، الّتي ترمز إلى الغناء عند حديثه عن شَدْو و تغْريد الطّير.

[1]- جماليّات الأسلوب؛ د- فايز الدّاية. (د.ت)، ط/2، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، 1990م، ص193.

[2]-شعر وموشّحات الوزير ابن زمرك الأندلسيّ؛ حمدان حجاجي، ص145.

[3]-شعر وموشّحات الوزير اِبن زمرك الأندلسيّ؛ حمدان حجاجي، ص153.

و لقد جاء بكلمة " البَدْرِ" كذلك، الّتي ترمز إلى الكمال و إتمام الأمور و الأعمال، فقال:[1]

فَأَصْبَح القَوْم بَعْدَ جُهــدٍ كأنَّهم بالكـــرى نيـــام

قَاسُوا من السَّيْر حرٍّ و قدٍّ حتَّى مضُوا كلُّــهم كــرام

بـدر سَــنـــى البــدر مــن سَنـــــــاه و قــدْ يُـــخْـــجِـلُ الــغُصـــون

و يقول في موشّحة أخرى:[2]

اِبتهج الكَــوْن بمُوسَى الإمام و اِختال في بُرْدِ الشَّباب القشيب

و عــاده يَخْدُم مثل الغُـــــلاَم شَبَـابه قد عَاَد بَعْدَ المشيـــــب

أكْـــرِم بِـــه و اللَّـــه و فْدِ الكَريـــــم مَوْلَاتُنَا " الحُـــرَّة" في مَقْدَمِـــــــــــــهْ

يتّضح من خلال ما سبق أنّ اِبن زمرك جاء في أبياته بلفظة "موسى" الّتي ترمز إلى القوّة والشّجاعة.

بناءًا على ما سبق نلاحظ أنّ اِبن زمرك لجأ إلى اِستخدام الكثير من الرّموز في موشّحاته، حيث كان لها دور كبير في توحيد أبعاد الصّورة الشّعريّة، و مَنْحِهَا أبعادًا فنّية وجماليّة.

[1]-شعر وموشّحات الوزير اِبن زمرك الأندلسيّ؛ حمدان حجاجي، ص161 .

[2]-شعر وموشّحات الوزير اِبن زمرك الأندلسيّ؛ حمدان حجاجي، ص155.

خاتمة

خاتمة:

من خلال دراستنا لموضوع الموشّح عند محّمد اِبن زمرك – دراسة لسانيّة- نستطيع القول بأنّ محمّد اِبن زمرك كان شاعرا متميّزًا في عصره، صادقًا فيما يصدر عنه، و يُعدّ من الطّبقة الأولى بين الوشّاحين في الأندلس، و قد توصّلنا في هذه الدّراسة إلى جملة من النّتائج كانت ثمرة هذا البحث.

لقد اِهتم اِبن زمرك في نظم موشّحاته بأغراض شعريّة متنوّعة، حيث كان غرض المدح من أبرز الأغراض الّتي حفل بها ديوانه، فكان يتّجه في أغلبه إلى مدح السّلطان، كما نجده اِهتمّ بمدح الرّسول صلّى الله عليه وسلم، أمّا الأغراض الأخرى الّتي تناولها كالوصف و الرّثاء و الغزل، فقد كان مقلّدا لغيره سار على المنهج الّذي اِتّبعه القدماء، فلم يهتمّ بالرّثاء اِهتمامًا كبيرًا، فجاء رثائه خاليًّا من العاطفة الصّادقة، إذْ لم نعثر له إلاّ على أربع مرثيات فقط، أمّا الغزل فقد تناول فيه معظم الموضوعات الّتي تناولها الشّعراء القدامى قبله، وفي غرض الوصف اِتّضح لنا من خلال الدّراسة والتّحليل أنّه كان أكبر وصّاف في الشّعر الأندلسيّ.

و لجأ إلى اِستخدام الكثير من التّراكيب اللّغوية و بيّن أثرها في أسلوب الموشّحة، و تنويعه للرّوابط و الجمل الإسميّة و الفعليّة و التّقديم و التّأخير، والمصادر بأنواعها، فنجده أكثر من اِستخدام الجمل الإسميّة، و قلّل من اِستعمـــال الجمل الفعليّة، حيث تميّزت كلّ جملة بخصـــائص منحْتها قوّةً و جمالاً.

أمّا عن الأوزان الّتي طرقها في موشّحاته، وجدنا أنّها تخضع للعروض العربيّ الخليلي فاِستخدم البحور الممتزجة الّتي تتألّف أكثر من تفعيلة واحدة، و البحور المجزوءة، فكانت بحور الطّويل والكامل و البسيط من أهمّ الأوزان الّتي نظّم فيها موشّحاته، فحاول تنويع نغمات الموسيقى من خلال اِستخدامه للزّحافات و العلل، و يدلّ ذلك على اِهتمامه بالتّنويع النّغمي، وبراعته و قدرته العروضيّة.

و كان للبيئة الأندلسيّة أثر كبير في تصويره الفنّي، حيث اِستخدم الخيال و إدراكه الحسّي في بناء صوره الفنّية، و اِعتمد في تصويره على الألوان البيانيّة من تشبيه و اِستعارة و كناية، و المحسّنات البديعيّة المختلفة من طباقٍ و جناسٍ، كما اِستخدم الكثير من الرّموز و الألوان في شعره، الّتي كان لها دور كبير في توحيد أبعاد الصّورة الشّعريّة و منْحها أبعادًا فنّية و جماليّة.

فهرست المصادر و المراجع

فهرست المصادر و المراجع:

الكتب:

1-السّعيد الورقي؛ في الأدب الأندلسيّ. (د.ت)، الدّار المصريّة، الإسكندريّة.

2-الشّيخ أحمـــد بـن محمّد المقري التّلمســاني؛ نفـح الطّيب من غصن الأندلــس الرّطيب. ت: د.إحسان عبّاس، ج:7. (د.ط)، دار صادر، بيروت، 1408هـ-1988م.

3-الفيروز آبادي؛ معجم القاموس المحيط، ج:2، ط/1، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان، 1417هـ-1997م.

4-إبراهيم أنيس؛ موسيقى الشّعر. (د.ت)، ط/5، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، 1978م.

5-إبن الأحمر الأمير إسماعيل بن يوسف بن محمّد؛ نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزّمان. ت:محمّد رضوان الدّاية، د/ط، دار الثّقافة، بيروت، لبنان، 1965م.

6-إبن بسّام الشّنتريني؛ الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة. ت:د.إحسان عبّاس، دار الثّقافة، بيروت، 1979م.

7-إبن رشيق القيرواني؛ العمدة في محاسن الشّعر و آدابه و نقده. ت: محمّد محي الدّين عبد الحميد، ج:1، ط/5، دار الجيل للنّشر و التّوزيع، بيروت، لبنان، 1401هـ -1981م.

8-ابن سناء الملك؛ دار الطّراز في عمل الموشّحات. ت: د. جودت الرّكابي، ط/2، دمشق، 1977م.

9-إبن منظور؛ معجم لسان العرب، مج:15، ط/3، دار صادر، بيروت، 1999م.

10- إحسان عبّاس؛ تاريخ الأدب الأندلسيّ، عصر ملوك الطّوائف و المرابطين. ط/1، دار الشّروق للنّشر و التّوزيع، عمّان، 2001م.

11- إحسان عبّاس؛ تاريخ الأدب العربي عصر الطوائف و المرابطين. (د.ت)، ط/7، دار الثّقافة، بيروت، 1962م.

فهرست المصادر و المراجع:

12- أحمد بن محمّد المقري التّلمساني؛ أزهار الرّياض في أخبار عيّاض. ت:مصطفى السّقا، ج:2. (د.ط)، مطبعة لجنة التّأليف و التّرجمة و النّشر، القاهرة، 1939م.

13- أحمد سليم الحمصي؛ اِبن زمرك الغرناطي سيرته و أدبه. (د.ت)، مج:1، ط/1، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، 1985م.

14- أحمد فوزي الهيب؛ الحركة الشّعرية زمن المماليك في حلب الشّهباء، ط/1، مؤسّسة الرّسالة، بيروت 1986م.

15- جلال الدّين محمّد القزويني؛ التّلخيص في علوم البلاغة. (د.ط)، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، لبنان، 1975م.

16- جودت الرّكابي؛ في الأدب الأندلسيّ .(د.ت)، ط/2، دار المعارف، مصر، 1966م.

17- حمدان حجاجي؛ حياة و آثار اِبن زمرك. (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعيّة والمؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1989م.

18- حمدان حجاجي؛ شعر و موشّحات الوزير اِبن زمرك الأندلسيّ. (د.ط)، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، وديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1989م.

19- سعيد بوفلاقة؛ الشّعر النّسوي الأندلسيّ أغراضه و خصائصه الفنّية. (د.ت) ،ط/1، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1995.

20- صالح سليم الفاخري؛ تصريف الأفعال و المصادر و المشتقّات.(د.ط)، عصمي للنّشر والتّوزيع، القاهرة، 1996م.

21- عبد الرّحمان اِبن خلدون؛ المقدّمة. (د.ت)، طبعة كاترمير، باريس، 1957م.

22- عبد الرّشيد عبد العزيز سالم؛ شعر الرّثاء العربي، ط/1، وكالة المطبوعات، الكويت، 1982م.

23- عبد العزيز عتيق؛ الأدب العربي في الأندلس. (د.ط)، دار النّهضة العربيّة، بيروت لبنان.

24- عبد العزيز عتيق؛ في النّقد الأدبي. (د.ت)، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، 1405هـ -1985م.

25- عبد الفتّاح داودكاك؛ الموشّحات الأندلسيّة نشأة و تطوّر، تأثير و تأثّر. (د.ت)، 2015م.

26- عبد القاهر الجرجاني؛ أسرار البلاغة. ت: محمّد الفاضلي، ط/3، المكتبة العصريّة للطّبــاعة و النّشر، 2001م.

27- عبد القاهر الجرجاني؛ دلائل الإعجاز. ت: محمود محمّد شاكر، ط/3، مطبعة المدني، القاهرة، 1999م.

28- فايز الدّاية؛ جماليّات الأسلوب. (د.ت)، ط/2، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، 1990م.

29- قدامة بن جعفر؛ نقد الشّعر. ت: محمّد عبد المنعم خفاجي، (د.ط)، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1980م.

30- لسان الدّين إبن الخطيب؛ الإحاطة في أخبار غرناطة. ت: محمّد عبد الله عنان، مج:2، ط/1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1394هـ -1974م

31- محمّد العروضي؛ الجامع في العروض و القوافي. ت: زهير غازي، ط/1، عصمي للنّشر والتّوزيع، القاهرة، 1996م.

32- محمد النّويهي؛ قضيّة الشّعر الجديد. (د.ط)، المطبعة العالميّة، مصر، القاهرة، 1964م.

33- محمّد بن يوسف الصّريحي؛ ديوان إبن زمرك. ت: محمّد توفيق النّيفر، ط/1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م.

34- محمّد زكريا عناني؛ الموشّحات الأندلسية. (د.ت)، عالم المعرفة، الكويت، 1979م.

35- محمّد عباسة؛ الموشّحات و الأزجال و أثرها في شعر التروبادور. (د.ت)، ط/1، دار أمّ الكتاب للنّشر و التّوزيع، الجزائر، 1433هـ-2012م.

36- محمّد غنيمي هلال؛ النّقد الأدبي الحديث. (د.ط)، دار النّهضة، القاهرة، مصر 1980م.

37- مصطفى غازي؛ أصول التّوشيح. (د.ت)، ط/1، مؤسّسة الثّقافة الجامعيّة، 1976م.

38- يوسف عيد؛ دفاتر أندلسيّة في الشّعر و النّثر و النّقد و الحضارة و الإعلام. (د.ت)، المؤسّسة الحديثة للكتاب، طرابلس، 2006م .

الرّسائل الجامعيّة:

1- إسماعيل دليلة؛ الموشّحات الأندلسيّة بين القصيدة و الغناء، أطروحة دكتوراه في الأدب المغربي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، كليّة الآداب و اللّغات، 2016م.

2-أحمد بن عيضة الثّقفي؛ قضايا الشّكل و المضمون في الموشّح الأندلسيّ في عهد بني الأحمر، مذكّرة دكتوراه، جامعة أمّ القرى، كليّة اللّغة العربيّة، 2006م.

المجلاّت و الدّوريات:

1- أمل صالح رحمة؛ باعث العاطفة في حقول التراجيديّا في الشّعر الأندلسيّ، مجلّة البحوث التّربوية و النّفسية، العدد 17.

2- جغام ليلى؛ رثاء المدن بين سُقُوط الأندلس و أحداث الثّلاثاء الأسود، جامعة محمّد خيضر، بسكرة، الجزائر، عدد4، جانفي، 2009.

3- عبد الله محمّد أحمد عبد الرّحمان؛ الموشّحات الأندلسيّة دراسة فنّية عروضيّة، مجلّة الجامعة الإسلاميّة للبحوث الإنسانيّة، مج: 21، العدد 01، 2013م .

فهرست الموضوعات

فهرست الموضوعات:

الموضوع	الصفحة
إهـــــداء	
شكـــــر	
مقدمـــــة عـــــامّة	أ-ب
المدخل: الموشّح موضوعًا وفنًّا	3-8
1- البنى الفنية	02
2- عناصر الموشح	05
3- الأوزان الشعرية	07
الفصل الأوّل: لسانيات الموشّح مضمونًا عند محمّد اِبن زمرك	
أولا: موضوعات الموشّح عند محمّد اِبن زمرك	09
1- المدح	09
2- الغزل	12
3- الرّثاء	15
4- الوصف	17
ثانيا: التّفاوت في الأخذ بالأغراض	21
1- بناء الموشّحة	21
الفصل الثاني : لسانيات الموشّح شكلا عند محمّد اِبن زمرك	
أولا: المعجم اللّساني للموشّح عند اِبن زمرك	25
1- البنية التّركيبية للجملة في الموشّحات	25
1.1- الحروف	25
2.1- أنواع الجمل	28
3.1- التّقديم و التّأخير و أثره في الجمل	32
4.1- المصدر	34
ثانيا: الصّورة الفنّية للموشّح عند محمّد اِبن زمرك	36
1- الموسيقى الدّاخليّة	36
1.1- العاطفة	36

فهرست الموضوعات:

2- الموسيقى الخارجيّة	38
1.2- البحور	38
2.2- الخيال	41
3.2- الألوان	45
4.2- الرّمز	47
خاتمة	50
فهرست المصادر و المراجع	55-52
فهرست الموضوعات	
الملخص	

ملخص:

يضمّ هذا البحث بين طيّاته دراسة تقليديّة حول موضوع الموشّح عند محمّد اِبن زمرك باعتباره فنًّا من الفنون الأدبيّة الّتي اِهتمّ بها الشّاعر، حيث تضمّنت هذه الدّراسة أهمّ الأغراض الشّعرية الّتي خاضها في نظم موشّحاته، فكان غرض المدح من أبرز هذه الأغراض الّتي حُظي بها ديوانه، كما اِرتكز البحث على الصّور الفنّية و الجماليّة الّتي مُيِّز بها شعره.

الكلمات المفتاحيّة: الموشّح –الصّور الفنّية – المدح– اِبن زمرك.

Résumé :

Cette recherche comprend une étude traditionnelle de Muhammad Ibnou Zamrouk sur le thème de la muwashah en tant qu'art des arts littéraires, il se suiciait beaucoup de sa poésie. Où cette étude a inclus les buts poétique les plus importants qu'il menés dans les systèmes de son muwashah. Le but de la langue.

Mots clés : Muwashah- image artistique – icône- Ibnou Zamrouk.

Abstract :

This research includes a traditional study of Muhammad Ibnou Zamrouk on the théme of muwashshah as an art of literary arts, he was very much a poet of his poetry. Or this study has included the most important poetic goals he carries out in the systems of his muwashshah. The purpose of praise.

Keywords: Muwashshah - artistic image - icon –Ibnou Zamrouk.